حاسة الناقد الفنية

بقلم الدكتور محمد حاج حسين

***

ذكرت الرواة ان جريرا مر بذي الرمة ، وقد عمل قصيدته التي أولها :

نبت عيناك عن طلل بحزوى　　عفته الريح وامتنح القطارا

فقال : الا أنجدك بأبيات تزيد فيها ؟ فقال : نعم . فقال :

يعد الناسبون بني تميم　　بيوت المجد اربعة كبارا
يعدون الرباب وآل تيم　　وسعدا ثم حنظلة الخيارا
ويذهب بينها المرئي لغوا　　كما الغيت في الدية الحوارا

فوضعها ذو الرمة في قصيدته ، ثم مر به الفرزدق ، فسأله عما احدث من الشعر ، فأنشده القصيدة ، فلما بلغ هذه الابيات ، قال : ليس هذا من بحرك ، مضيفها اشد لحيين منك .

وهكذا استطاع الفرزدق بحاسته الفنية ان يعرف ان هذه الابيات مقحمة على ذي الرمة ، وان ناظمها اقوى شاعرية منه . والفرزدق ليس بناقد ، بل هو شاعر ، واتاحت له شاعريته التمييز الدقيق بين شعر ذي الرمة، وشعر جرير علما بأن ذا الرمة من فحول الشعراء ، ولكن الفطنة الدقيقة ، والحس المرهف ، واليقظة الواعية التي يكتنه بها الشاعر دقائق الكلام ، ويتغلغل الى أسراره ، هدته الى ادراك ان الابيات مقحمة على قصيدة ذي الرمة.

وكان جوستاف فلوبير يود ان يكون الناقد فنانا لانه يستطيع بالهامه ، وحاسته الفنية ان يتغلغل الى الاثر الفني ، ويفهمه بدقة ، ويغوص على مواطن الجمال فيه ليرشد القراء اليها ليشاركوا الفنان مشاركة وجدانية تتيح لهم هذه اللذة التي يحس بها كل من تذوق افانين الجمال الفني ، الذي يصقل الروح ، ويهذب النفس ، ويسمو بالانسان الى الاوج . وفلوبير على حق في مطلبه ، لان الاثر الفني عندما يبرز الى الوجود ليس هو مجرد كلمات وعبارات، فهذه ليست سوى مظاهر خارجية لجوهره وروحه . ولا يمكن للناقد ان يتغلغل الى هذا الجوهر ، وهذه الروح الا اذا كانت له مشاركة في هذا الانتاج الفني، واعني بهذا ان تكون لديه الموهبة الفنية الدقيقة التي تستطيع ان تنفذ الى ما وراء الاثر الفني ، لتلتقط بدقة هذه النزعات البعيدة التي تنداح فيه . ومتى اتيح للناقد هذه الحاسة الفنية استطاع ان يقوم الاثر الفني ، وبالتالي ينقله الينا شارحا محللا مواطن الجمال فيه .. يبصرنا فيها ، ويدفعنا الى قراءتها وحبها ، والاستمتاع بها .. فليس الناقد الحق سوى صاحب مكتبة كبيرة يرشد القارىء الى الكتاب القيم الجدير بالقراءة ، ويدله على ينابيع الجمال فيه .

وبديهي ان مهمة الناقد شاقة ، ولن يستطيع ان يقوم بهذه الرسالة السامية الا اذا اوتي طبيعة فنية خصبة يتسنى له بوساطتها التقاط الدقائق الفنية المميزة للاثر الفني . وكم اخطأ النقاد قديما وحديثا في تقييم الاثار الفنية حتى صححت الاعقاب هذه الاخطاء ، وردت الاشياء الى اصولها . وكلنا يعلم ان الشاعر الانكليزي النبيغ جون كيتس تعرض عندما ظهر ديوانه لعاصفة من النقد القاسي البعيد عن الانصاف .. مما عجل في استشراء داء السل في جسده الواهي .. وادى الى وفاته في سن مبكرة جدا . وبعد ان هدات العاصفة ، واستقر الشاعر في قبره أعاد النقد الواعي الى كيتس مكانته الجديرة به . وقال عنه : انه كتب اجمل شعر في الانكليزية بعد شكسبير ..

ومن الطبيعي ان الشاعر يخطيء احيانا في الحكم على شعر زميل له ، وكثيرا ما نراه لا يستطيع ان يتذوق هذا الشعر . فبيرون كان لا يتذوق شعر كيتس ، ولا يثير في نفسه اي اعجاب ، كما ان الشاعر الانكليزي وردزورث كان لا يفهم شعر زميله كولوردج ، ولا يتذوقه . وهذا الشذوذ له مبرراته ومقوماته وظروفه ، وهو لا يهدم القاعدة ، بل يثبتها ويدعمها . وقيل قديما ان الشعر لا يقرأه الا الشعراء .. وهذا صحيح الى حد بعيد ، وبما ان الشاعر — مهما ضؤلت موهبته — يعتد بشاعريته ، ويقدسها ويرى انتاجه فوق كل انتاج .. كان من اللازب وجود الناقد الفنان الذي يبصره بحقيقة شعره ، ويدله عن مواطن العجز والضحالة فيه .. وليس في الواقع أنفذ من الشاعر في فهم الشعر ، ولذا يجب ان يكون الناقد فنانا حتى يدرك جمال الاثر الادبي ، ويتغلغل الى ادق خلجاته ، واصفى نبراته ، ليجلوه ببراعة وفهم .

والحق ان الناقد مهما كانت ثقافته مستفيضة لا يتسنى له ان يقوّم الاثار الفنية الا اذا اوتي حاسة فنية لانه بحاجة الى تلقي روح الاثر الفني . ومن المستحيل ان يتاح له هذا التلقي الا اذا كان ذا موهبة فنية يدرك بها جمال هذا الاثر ، ومواطن الضعف فيه .. وبهذا لا يكفي ان نعمد الى التجريح ، وتشويه الانتاج الفني ، او كيل المدح له جزافا حتى نكون نقادا . ان هذا اللون من النقد غث مقيت ليس فيه غناء للادب ، بل على العكس .. هو ضار وقاتل للمواهب ، لان القيم تختلط عند القارىء ، وبالتالي يستوي عنده الغث والسمين . فكم من كتاب تناوله النقاد بالاطراء حتى جعلوه آية فنية قل ان يجود الزمن بمثلها حتى اذا اقبلت عليه وجدته غثا تافها لا قيمة له .. ومرد ذلك ان اولئك الذين تناولوه بالنقد لم يفهموا رسالة النقد على حقيقتها واعمتهم صداقتهم او عداوتهم للمؤلف عن الحقيقة .. او انهم لم تسعفهم موهبتهم الفنية في فهمه وتقييمه .. ولهذا جاء النقد كابيا متعثرا لا غناء فيه ، وضاعت رسالة النقد السامية في هذا الضباب الذي غمره

من كل جانب ،

ان اكبر ناقد في العصر القديم هو بلا مراء ارسطو .. كما ان اكبر ناقد في العصر الحديث هو الشاعر الانكليزي العبقري كولوردج . كان يلقي محاضرات في النقد ارتجالا، ويسجلها بعض مريديه ممن يستمعون اليه . واستطاع بفهمه الدقيق للاصول الادبية ان يكون رائد النقد في العصر الحديث ، وفي اعتقادي ان هذه المنزلة العظيمة لم تستو له الا لانه كان شاعرا كبيرا يعرف كيف يبدع اروع الشعر ، وهو في غيبوبة بعيدة ، او تحت تأثير الافيون... فهذا الشاعر الكبير اسعفته حاسته الفنية ، فعرف اسرار الشعر ، فالناقد اذا توفر له الحس الفني استطاع ان يحلل دوافع الانتاج الادبي ، وعوامله لانه يختلج في اعماقه، وتنبض صوره في وعيه ولاوعيه ، فاذا درسه ابدع في فهمه ، ووضعه في مكانته اللائقة به .

لا مراء ان الادباء يختلفون في قدرتهم الفنية ، فليس كل من تصدى للتأليف بأديب ، وليس كل من قال شعرا بشاعر .. فاذا لم يسعف الفن الشاعر والكاتب ، وسرى في انتاجه سريان الدم في العروق كانت الخيبة نصيبه .. ولقد تنبه الى هذا اول ناقد عربي ، واعني به ابن سلام الجمحي عندما كتب كتابه طبقات الشعراء ، وعمد الى تقسيمهم الى طبقات متفاوتة ، ولا شك ان هذا التقسيم فيه الكثير من السذاجة ، ولكنه في حقيقته يدل على ان هذا الناقد احس بأن هنالك تفاوتا بعيدا بين الشعراء ، ولم تسعفه موهبته ، وظروف عصره ان ينقد هؤلاء الشعراء ، ويحلل اثارهم من الوجهة الفنية .

انني اعتقد ان الناقد لا بد ان يكون فنانا بكل ما تحوي هذه الكلمة من معنى ليكون الناقد المرجو الذي ينقي الادب من ادرانه ، ويبصرنا بجماله ، ويعيننا على تربية ذوقنا الفني لندرك جمال الادب وروعته . اما اذا اقفر الناقد من هذه الحاسة ، فلا بد ان يتعثر في نقده مهما توفرت له ادوات النقد الاخرى من ذكاء وعمق في الفهم ، وثقافة ، ونزاهة ، وتجرد .. فأبو حسن الامدي اكبر ناقد انتجه الادب العربي . والذي يقرأ كتابه العظيم الموازنة بين الطائيين يحس انه يؤثر من طرف خفي البحتري على ابي تمام . اما الحقيقة ، فالبون شاسع بين هذين الشاعرين ، فأبو تمام عملاق في شعره ، وليس البحتري سوى صبي امامه . ولكن الامدي – رغم فضله – لم تتوفر لديه الحاسة الفنية المثلى ، فأعجب بألوان البحتري الخارجية المنمقة .

ولا يكفي ان تتوفر للناقد الحاسة الفنية ليبدع في نقده، فهو بحاجة الى التجرد والنزاهة ، والتخلص من علاقاته الخاصة بالفنان الذي ينقده .. فالمازني كان فنانا وناقدا توفرت له الثقافة ، والفهم الدقيق .. ومع هذا عندما تصدى في الديوان الذي الفه مع زميله العقاد لعبد الرحمن شكري وضع نصب عينيه تهديمه ، واطلق عليه صنم الالاعيب ، ولم يجد في شعره سوى المساويء.. مما اثر كثيرا في شكري ، وانزوى في داره ، وانطوى على نفسه ، وابتعد عن الشعر بعد ان كان قد اصدر جملة دواوين شعرية ممتازة . وسبب هذه الحملة القاسية ان شكري نقد المازني في بعض شعره ، ودله على المعاني التي سلخها من الشعر الانكليزي ، فكان رد المازني هذه المقالات العنيفة البعيدة عن الموضوعية اما الحقيقة فان شكري هو رائد الشعر الحديث في مصر ، وهو الذي حمل علمه ، ومشى على اثره العقاد والمازني وخلفاؤهم ، فهو اول من نادى بالوحدة العضوية في الشعر ، وهو الشاعر الذي كان همه ان يتغلغل في النفس ، ويجلو دقائقها واسرارها . ومن الطبيعي ان تجريح المازني له لا يضر الحقيقة لان النقد اذا لم يكن نزيها تطاير في الهواء .. ولا يبقى منه سوى الذكرى المريرة التي تدل على عداوة الادباء وتحاسدهم .

وصفوة القول .. ان الادب العظيم ينتج النقد العظيم.. فمتى اصبح ادبنا في الذروة استطعنا ان نحظى بالنقد الممتاز .. فالنقد اصعب الفنون الادبية لان الناقد يجب ان تتوفر له صفات متعددة : الثقافة الواسعة ، والاطلاع الشامل ، والتجرد ، والنزاهة في الاحكام .. وفي طليعة كل هذا الحاسة الفنية .. ولهذا كان اليوت من اكبر النقاد في عصرنا لانه من اكبر الشعراء .

طرطوس — **محمد حاج حسين**

الحبيب الضائع

لي من رفيف سناك عذر شافع
هيهات يدركه العذول الطامع
فاذا صبوت فلست اول ظامىء
يحلو لعينيه السراب اللامع
كم ومضة خفقت على افق المنى
غنى بها حاد ولبى سامع
يغري محياك القلوب فتنثني
نشوى كما يغري الفراشة ساطع
فاذا جناحاها ربابة عازف
والليل مشبوب الحشاشة جاذع
انا « قيسك » الغاوي فما من سامر
الا ولي فيه النشيد الرائع
ما التيه ان تطوي الرمال معالمي
اما استجاب لي الحبيب الضائع

وديع ديب

قمر الزمان ... والعملاق

الآن عملاقا هناك ، يلوح في اقصى الطريق ، تخاف يا قمر الزمان ..
وتفر يا قمر الزمان ..
ما كنت أحسب ان فيك يعيش انسان جبان ..
والمجد يا قمر الزمان ..
والعز يا قمر الزمان ..
وكفاح الاف الجدود ..
من اجل بعثك للوجود ..
من اجل يومك انت ، يا هذا الجبان ..

لا كنت يا قمر الزمان ..
لا كنت يا هذا الجبان ..
أفيخطف العملاق منك عروسة كالبدر في يوم التمام ..
زين الحسان ..
أسطورة تحكى على مر الزمان ..
كالكون في اشراقة الصبح النضير ..
كالزهر ، تنضح بالبشاشة والعبير ..
يا ويلها ، اذ أسلمت يدك المصير ..
فتركتها ، وعدوت لما قد لمحت الغول يقبل من بعيد ..
يعوى ، فتنهدم الصخور ..
عيناه تصرخ بالوعيد ..
والهول والبأس الشديد ..
مسكينة ، بدر البدور ..
في قبضة العملاق ، انت بلا نصير ..
وحبيبك المغوار يبحث في الصخور ..
عن حفرة تخفيه حتى ما يغيب ..
عن حفرة تحميه من هذا المصير ..
من قبضة العملاق والاسر الرهيب ..
« قلبي حزين ..
« يا اخوتي ، قلبي حزين ..
« دام يمزقه الحنين ..
« سيظل يبكي هكذا ، يبكيك يا بدر البدور ..
« ابد السنين ..
« يبكيك يا أملي الطعين ..
« يا نبع نور ، لاح في أفقي ، وغاب ..
« يا نبع نور ..
« يا انت ، يا بدر البدور ..
« أختاه ، يا أملي الحبيب ..
« يا بسمة العمر الجديب ..
« لم هكذا خلقتني
« وتركتني ..
« أسعى ، بلا أمل ، بلا هدف كما يسعى الغريب ..
« ساظل عمري هكذا ، أبكيك يا أملي الطعين ..
« ابكيك من قلبي الحزين ..
« يا اخوتي ، قلبي حزين ..
« قلبي حزين » ..

لتسل على الارض الدموع ..
ولتنصهر من نارها ، من هولها ، تلك الضلوع ..
ولتنطفىء كل الشموع ..
لكن أترجع كل انهار الدموع ..
بدر البدور ..
لا الدمع يرجعها ، ولا الشدو الحزين ..
عذب فؤادك بالحنين ..
واصرخ على ارض الضياع ..
من كل قلبك ، من حنينك من اساك ..
واحشد جموع العاشقين ..
كل الضعاف الخائرين ..
ولتصرخوا من هول ايام الضياع ..
من ثورة الحرمان في الارض الخراب ..
حسنا ، رفاقي الطيبين ..
ابكوا كما شاءت قلوبكم .. كما شاء الحنين ..
ثم انظروا : ماذا جنيتم يا رفاق ..
لا شيء غير صدى حزين ..
لنحيبكم ينساب في الارض الخراب ..
وهناك في قصر رهيب ..
قصر يقوم ببابه ، كالطود ، عملاق عظيم ..
بدر البدور ..
تحيا هناك ..
تحيا ، وتحلم بالفكاك ..
من أسر عملاق رهيب ..
يا رفقتي ، لا الدمع يرجعها ، ولا هذا النحيب ..
لا شيء يرجعها سوى هول الصراع ..
أسمعت يا قمر الزمان ..
فاطرح جمودك يا جبان ..
واحمل سلاحك ، وانطلق عبر القفار ..
واذهب اليه ، هناك في عزم شديد ..
حتى اذا فرغ الصراع ..
ستعود منتصرا بها ، فترى هنا في القفر ، في ارض الضياع ..
طلعت لاجلك روضة ، ملأى بأزهار نضيره ..
كالحب ، في عيني صغيره ..
فتحت لاحلام الهوى ابواب عالمها الرحيب ..
من اجل فارسها الحبيب ..

مصر الجديدة — عبد المنعم عواد يوسف



الدكتور نعيم عطيه

المدرسة مؤسسة اجتماعية

بقلم الدكتور نعيم ن. عطيه

.استاذ علم النفس التربوي في الجامعة الامريكية
ومحاضر في علم النفس العام في الجامعة اللبنانية

يبرز في الدراسات القارنة الحديثة ، اتجاهان رئيسيان في تحليل الفكر يمثل كل منهما موقفا منهجيا مختلفا ، ويعكس هذا الاختلاف بدوره اختلافات نظرية خطيرة . يعتمد الاتجاه الاول دراسة الفكر في حاصله ، فيقارن نظاما فلسفيا بنظام اخر ، او موقفا نظريا بموقف اخر ، لتبيان مفاهيمه الاساسية وابراز اوجه الشبه والخلاف فيما بينهما . واكثر ما يعتمد مثل هذا الاتجاه المنطق المجرد ، فيتتبع ترابط الافكار فيما بينها ، ليدرك نظام تآلفها ، ومن ثم يقابلها ، معتمدا الطريقة نفسها ، بنظام عقلي اخر ، فيقصر اهتمامه على الوجه الظاهر من الفكر وبنيته المنطقية العليا ، ويفترض ان تطور الثقافة قائم على احتكاك الفكر بالفكر والتفاعل المنطقي فيما بينهما . فالفكر يولد الفكر ، وكل تطور هو امتداد ينطوي عليه منطق الفكر في الاساس.

اما الاتجاه الثاني فانه ينطلق من مسلمات مختلفة . فهو يعتبر الفكر الحاصل ، ولا سيما في الشؤون الحيوية ، انعكاسا لحاجات نفسية ــ اجتماعية تنشأ وتتبلور في غمرة النضال للبقاء الافضل . ولذلك فهو يسعى ان يتفهم الفكر وتطوره ، ولا سيما في القضايا التي تنعكس في نظام الحياة الاجتماعية ، في ضوء الاوضاع « الاجتماعية ــ التاريخية » ، التي تكمن وراء الفكر الفردي وتمده بالحافز للبروز والتطور . ان مثل هذا المنهج يربط ما بين اتجاهات الفكر الحاصلة والاوضاع التي تحيط بالعمل الجماعي ، لان حاجات العمل الجماعي واتجاهاته هي التي تمدنا بأولى نماذج الادراك ، فنكتشف من خلالها اول ما نكتشف الكون القائم حولنا ، فكريا . فيفترض هذا الاتجاه اذن ان الوجه الظاهر للفكر يبقى غامضا ما لم نظر في منابعه وعوامله الباطنة ، وهذه تمتد جذورها الى طبيعة الصراع الاجتماعي ووضع الفرد في سياق العمل الجماعي .

ومن الطبيعي ان تختلف مواقفنا من مفهوم المدرسة ودورها في المجتمع بالنسبة الى اي من هذين المنهجين نعتمد . وعندي انه مهما كان الاتجاه الاول مفيدا في ايضاح التيارات الفكرية وابراز مفاهيمها الاساسية ، فان تفهمنا للفكر التربوي وتطوره يبقى ناقصا ما لم نتقص جذورهما الاجتماعية ــ التاريخية ، وننظر الى المدرسة كمؤسسة اجتماعية ينالها من الصراع الاجتماعي ما ينال اي مؤسسة حيوية اخرى .

صلة التربية بالمجتمع

لا شك ان المدرسة بدأت ، اول ما بدأت ، تلبية لحاجة اجتماعية، وما ثبتت الا لانها لبت هذه الحاجة. فالمؤسسات التي تثبت في السياق الطويل ، هي مؤسسات تمتد جذورها الى قضايا المجتمع الاساسية ، ولو انها استمرت بعض الاحيان ، بعد انتفاء الحاجة اليها ، كتقليد جامد لا حياة فيه . والمدرسة هي احدى المؤسسات التي ترافق المجتمع ابدا . وحيثما كان مجتمع منظم ، فهناك حاجة الى المدرسة. على ان اهدافها واساليبها ستتغير على الدوام لترافق حركة المجتمع وتخدم حاجاته . وكثيرا ما يساور الباحثين في قضية التربية قلق حول صحة الاهداف التي يعملون لها . لذلك يتمنون على انفسهم ان يتوصلوا الى اهداف ثابتة يمكن ان يتم الاتفاق عليها نهائيا ، فينصرفون كليا الى اكتشاف الاساليب التى من شأنها ان تحقق هذه الاهداف . الا انه ينبغي الالتفات الى ان اهداف التربية هي اتجاهات وحلول يقرها المجتمع في ضوء اوضاع معينة من تاريخه . فما يلبث ان يتم الاتفاق حولها ، حتى تتغير الاوضاع والظروف التى بررت نشوء مثل هذه الاهداف ، فتبرز الحاجة الى اعادة النظر فيها وتكييفها وفقا لمقتضيات الحال . لذلك لن يستطيع الفكر ان ينتهي الى يقين دائم حول اهداف التربية ، بالنظر الى دينامية الحياة الاجتماعية. فالمجتمع في حالة صيرورة دائمة وكذلك التربية.

غير ان التربية ، على الرغم من تطورها ، تبقى متصلة بقواعد الحياة الاجتماعية ، ولو سبقت المجتمع تارة خطوة او خطوتين ، او تأخرت عنه طورا خطوة او خطوتين .

فالتساؤل حول التلازم بين نماء المجتمع وتطور التربية ينطوي، اذن على دراسة الصلة بين التربية والمجتمع وتطور التربية الى مستوى المدرسة ــ المؤسسة .

فلنحدد اولا معنى التربية في استعمالها الفني ، ولنبرز

بعض مميزات الحياة الاجتماعية .

يحدد البعض التربية بالنسبة الى اتجاهاتها المنهجية ، ويحددها البعض الاخر بالنسبة الى الاغراض التي ترمي اليها . ومن الطبيعي ان يحول هذا الاختلاف دون التوصل الى تحديد يجمع عليه راي المربين . فلبعضهم ، التربية هي تنشئة المواطن الصالح ، وللبعض الاخر هي تنمية الشخصية ، وهي ايضا تنمية الخلق والحس الثقافي . ولكن يسهل ان ندرك ان هذه التعاريف ، مهما اختلفت ، تشترك في مفهومها العام على ان التربية هي عملية تنشئة او تنمية . كما تتفق على ان من شروط هذه التنشئة او التنمية ان تستند الى اهداف معينة واساليب مدروسة . وبما ان التنشئة او التنمية هي عملية نقل المتعلم من حال الى حال ، باتباع اسلوب معين ، يمكن تحديد التربية عموما على انها « محاولة لاحداث تغيير مستحب في السلوك ، عن طريق توفير الخبرات الملائمة » .

يحدث بعض هذا التغير في السلوك ، اذ يخضع المرء لمؤثرات البيئة التي يعيش فيها ، بطريقة عفوية ، عن غير قصد او سابق تصميم . ولكن هذا النوع من التربية يعرض المجتمع لمزالق خطرة ، لان التغير السلوكي الناتج عنه قد يكون غير مستحب . لذلك يحرص المجتمع على توفير خبرات معينة يختارها بكل حرص ودقة ، من شأنها ان توجه السلوك في مناح تخدم اغراض الحياة الاجتماعية . فعندما يدخل العامل القصدي هذا في تنظيم التربية ، تنشأ التربية المصممة التي يوكل القيام بها الى افراد راشدين ، يثق المجتمع بهم ، ويرتاح الى تفكيرهم و اتجاههم العام في الحياة . فالتربية المصممة هي اذن عملية قصدية ، واعية ، لتوفير البيئة الصالحة ، او العلاقة الانسانية بين المعلم والمتعلم التي من شأنها ان تدفع بالمرء الناشيء في المسالك التي تخدم في النهاية اغراض الحياة الاجتماعية ، وفي جملتها سعادة الانسان .

ننتقل الان الى تحديد صفات الحياة الاجتماعية . تشير كلمة اجتماعي هنا الى أي تفاعل بين فردين او اكثر ، او على وجه التعميم بين افراد الجماعة . فالحياة الاجتماعية هي في الاساس نظام من العلاقات البشرية ، تتناول مركز الفرد في الجماعة ، وعلاقته بالدولة ، وعلاقته بالمؤسسات، ودوره في سلسلة المراتب الاجتماعية الخ . . .

ولتبيان صلة التربية بالمجتمع ، ينبغي ان نبدأ بطرح سؤال اولي ، ما الذي يحفظ نظاما اجتماعيا معينا ، ويضمن استمراره في تعاقب اجياله ؟ لا شك ان النظريات التي تحاول ان تعالج هذه المشكلة كثيرة ومتشعبة ، وكثرتها ناتجة عن التضارب بينها في المسلمات التي تنطلق منها حول اجتماعية الانسان ، هل الانسان اجتماعي بالطبع ام بدافع الحاجة والضرورة ؟ هل المجتمع سابق للطور البشري ام انه مؤسسة بحت بشرية ؟ هل المجتمع قائم على تعاقد حر يضمن حقوق الفرد في الشوط الاخير وسعادته، ام انه واقع حضاري ملزم لافراده وطابع لارادتهم وسلوكهم ؟ هل المجتمع شيء كائن بالاستقلال عن الافراد ومميز عنهم ام انه مجموع الافراد الذين يؤلفونه ليس غير ؟ فالانطلاق من موقف معين تجاه اي سؤال من هذه الاسئلة، او عدد منها ، يؤدي الى نظرية معينة في نشوء الاجتماع وتطوره ، وفي احكام الحياة الاجتماعية ومقتضياتها . وليس من شأننا في هذا المجال ان ندخل في تفاصيل هذه النظريات وتبيان التشعبات الناتجة عن اختلاف مسلماتها الافتراضية . ويكفينا ان نبحث باختصار في العوامل التي تحفظ استمرار المجتمع .

وسنعتمد في ذلك لا المواقف النظرية غير المثبتة ، وانما ما نعرف عن المجتمعات في سيرها التاريخي . يصعب او قد يستحيل ان نصل الى قرار فيما اذا كان المجتمع كيانا عضويا قائما بذاته ، ذا وجود مميز وحياة خاصة ، كما يصعب ان نصل الى يقين حول ولادته . هذه مسائل تخضع للتأمل النظري والخيال ، فلا مجال للتوصل الى يقين او اتفاق تام في شأنها . وانما تسمح لنا الملاحظة السطحية بتبين بعض حقائق يمكن الانطلاق منها .

نلمس مثلا ان دورة الحياة الاجتماعية تتم في ثلاث حلقات يتصل بعضها ببعض ، تمثل الاجيال التي يتكون المجتمع منها في زمن ما : الاحداث والراشدين والشيوخ. فئة الراشدين هي التي تكون قلب المجتمع في زمن ما وتحضن نواة حضارته ، بينما فئة الشيوخ تمثل كهولة المجتمع من الناحية العملية ، وان بقيت تلعب دورا اساسيا في حفظ القيم الاجتماعية والمدافعة عنها . اما الاحداث فيمثلون بالمعنى الحضاري ، وان كان لهم شؤونهم الخاصة ومجتمعهم الخاص ، جيلا لا اجتماعيا . أي ان مراكز الاهتمام عندهم لا تلتقي ضرورة بقضايا المجتمع الحضارية. وانما يمثل هؤلاء طبعا الجيل الطالع الذي سيضمن استمرار حضارة المجتمع . فمن بين العوامل العديدة التي تؤثر في تطور المجتمع وتجدده ، يلعب الدور الاكبر في التاريخ توزع الحركة الاجتماعية الى مراحل ثلاث ، وانتقال مركز الثقل في ادارة شؤون المجتمع من جيل الى جيل .

الا ان المشكلة التي تبرز هنا ، وهي تتناول حياة المجتمع في أساسه ، هي مشكلة ضبط حركة التجدد التي ترافق نشوء جيل الاحداث في نطاق الحضارة التي يعيش عليها المجتمع . اذن هي في ان فئة الراشدين ستطل يوما على عتبة الكهولة ، وذلك مما يدعوها مكرهة ، بحكم سنة النمو الطبيعي ، الى افساح المجال امام الجيل الطالع لتسلم الامور المجتمعية . والجيل الطالع هذا لا يتكلف بالضرورة الطابع الحضاري السائد في فئة البالغين . وعلى العكس من ذلك، فهو يحمل ، بحكم السير الطبيعي ، قضايا مختلفة وعقلية مختلفة ، ويبشر ، او ربما ينذر ، بنشوء مجتمع مختلف . وما يعترض المجتمعات عندها هو كيف يمكن مماشاة التيار الطالع الجديد دون ان يخرج المجتمع عن محوره الحضاري؟

وما السبيل الى ايجاد التوازن بين القديم والحديث حتى لا تتسرب الى المجتمع عوامل البلبلة والتفكك الاجتماعي ؟

للمشكلة هذه شقان ، شق يتناول عملية « تحضير » او « تكريس الاجيال الطالعة في الحضارة » ، وشق اخر يتناول قضية الحفاظ على عوامل التجديد في المجتمع ، حتى لا تصبح الحضارة خاضعة لجمود المؤسسات والتقاليد . فبسبب تعاقب الاجيال ، كان لا بد للحضارة ، لولا الاتصال من جيل الى جيل ، من ان تبدأ من جديد مع كل جيل ، وان يتغير وجه المجتمع تغيرا جذريا في كل مرة . ينقرض جيل بأفكاره وروحيته ، ويبدأ على انقاضه جيل جديد بافكار وقضايا روحية جديدة . الا ان المجتمع ينمو على غير ذلك . فهناك استمرار في حياته ، اذ يحتفظ بكثير من صفاته التي يتوارثها جيل عن جيل .

لذلك فالمسألة التي تواجه المجتمعات في استمرارها هي مسألة تربوية في الاساس . فمن جهة ، ان ضمان الاستمرار في صفات المجتمع ، هي مسألة تكريس حضاري، تخضع له الاجيال الطالعة عن طريق التربية والتلقين والتعليم . ومن جهة اخرى ، فالتجدد الذي يرافق تعاقب الاجيال ، يتناول نوعية التربية التي تخضع لها هذه الاجيال . فاما ان يكون التكريس الحضاري كاملا ، شاملا، فيبقى المجتمع محتفظا بعقلية واحدة تقرب مع الزمن الى الجمود ، كما يحدث في المجتمعات الراكدة ، المغالية في محافظتها . واما ان يترك المجال عن قصد وتصميم ، للاجيال الطالعة ان تنحو نحوا جديدا فينشأ مجتمع يختلف تماما عما مضى . وهذا ما تحاول الثورات الجذرية ان تحققه ، او ترسم له ، على الاقل نظريا . واقرب مثال على ذلك هو تخطيط افلاطون النظري في جمهوريته للقضاء على جميع من هم فوق سن العاشرة او الثانية عشرة ، حتى يتوفر له البدء بمجتمع جديد بالاستقلال عن اي ضغط حضاري سابق . ويقرب من هذا المثال ايضا ، ما تنوى الاشتراكية الجذرية تحقيقه عن طريق الثورة الاشتراكية . الا انه في الواقع ، لا يمكن حضارة جديدة ان تنشأ على انقاض حضارة سابقة من دون ان تنال الحضارة المنقرضة منها منالها . في وسع الثورة أن تغير بعض الشكليات في الحياة الاجتماعية وان تبني اسسا جديدة للعدالة الاجتماعية وعلاقات المؤسسات بعضها ببعض ، الا ان روح الحضارة نفسها تبقى فاعلة في المجتمع في تعاقب اجيال عدة . وهذا ما ادركته الاشتراكية الجذرية ، فحافظت في نظريتها بحكم الضرورة على الدولة الى ان يحين تدريجيا اوان زوالها .

والاحتمال الثالث هو ان يكتفي التكريس الحضاري بتركيز المنطلقات الاساسية للحضارة في الاجيال الطالعة ، ومن ثم يفسح لها المجال لان تقوم بدورها الاجتماعي ، فيحصل التغير الضروري الذي يجب ان يرافق المجتمع في نموه ، ويتم التجدد ، من ضمن منطلقات حضارية واضحة . هكذا يحافظ المجتمع على استمرار شخصيته، ويضمن في الوقت نفسه الظروف الضرورية لتكامل نموه، دون اللجوء الى الحلول الجذرية . وهذا موقف يقع في الوسط بالنسبة الى موقف المحافظة المغالية وموقف التحرر المتطرف . وهناك مواقف وسطية عديدة تختلف بنسبة ما تؤلف بين المحافظة المغالية والتحرر المتطرف ، وتتراوح في حدتها ومغالاتها بمقدار ما تقرب من هذا الطرف او ذاك .

ولا ريب ان عملية التكريس الحضاري المنوه به ، مهما كانت نوعيته ، مسألة تربوية صميمة ، وان تساءلنا عن الحاجة ، فالجواب عن ذلك ينطلق من موقفنا تجاه ضرورة الاستمرار في المجتمع ، فيختلف نظام تربوي عن نظام اخر بنوعية الاستمرار التي نتوخى ، ومقدار التوازن الذي نبغي ان نحقق بين ضرورة الاخذ بالجديد وضغط الحضارة السابقة . فما هي الاسس التي يتم عليها التكريس الحضاري ، وما هي قوانينه ؟

نشوء النظام الاجتماعي

قبل ان نجيب عن ذلك ، ينبغي ان نحدد الظروف التي تتكون فيها العلاقات الاجتماعية وينشأ عنها نظام اجتماعي. وتمشيا مع موقفنا السابق سنتحاشى الدخول في الاعتبارات التأملية الغيبية وسنكتفي بمعاينة الاحوال التي ادت الى تدامج جماعة من الناس وجماعة اخرى ، واول ما يلقى الباحث هو ان الصفة البشرية ليست شرطا كافيا لإعطاء النظام الاجتماعي شخصيته ، أي ان التقاء جماعة من الناس بجماعة اخرى لا يؤدي حتما الى انتظام هاتين المجموعتين في هيئة اجتماعية واحدة . وانما ما يهيىء الجو لنشوء متحد اجتماعي كبير هو تعايش الجماعات واتصالها الحيوى بعضها ببعض . ولو لم يكن التعايش يتضمن المشاركة في الحياة لبقي فاقد الاثر في توحيد الهيئات الاجتماعية المتفاعلة . فالشرط الاساسي لتكون الحضارة عامة هو اذن الاشتراك في حياة واحدة ، في بيئة معينة تسمح بالاتصال المباشر ، المستمر . لا يمكننا ان نجزم بكل يقين فيما اذا كان للانسان انجذاب طبيعي نحو اخيه الانسان ، انما نعرف من الجماعات التي نمت وتوسعت طبيعيا ، دون ضغط حضاري او حربى ، ان التجاور الجغرافي كان يفرض عليها ، تجاه الاخطار المشتركة ، نوعا من تضافر الجهود لمواجهة تلك الاخطار وصدها عنها . لا نعرف بعد كيف تألفت الجماعة الاولى ، وما هى العوامل التى جمعتها . انما نعرف ان الجماعات المتجاورة ، على الرغم من التنافر الحينى بينها ، كانت تتعاون لمجابهة الاخطار والمصاعب المشتركة ، فينشأ بينها نوع من التعاطف والشعور بالمصلحة الموحدة . وكان بعض هذه الجماعات تمنع الزواج الداخلي وتعتبره حراما ، فى الغالب حفاظا على علاقاتها الودية مع جيرانها ، فتقوى علاقاتها بالقبائل الاخرى عن طريق المصاهرة وما ينشأ عنها

من قربى . ومع الزمن ، تزول الحدود وتندمج القبيلتان ، او اكثر ، في جماعة واحدة . وهكذا ينشأ المجتمع الجديد ويشد بعضه الى بعض عامل روحي يكمن في ضمير كل فرد ، فيعطي المجتمع وحدته وهويته .

وفي كل حال، فتفسير نشوء المجتمعات المعقدة وتطورها على هذه الصورة ، ينطوي على كثير من التأمل النظري ، رغم ما هناك في التاريخ مما يؤيد ذلك . اما بالنسبة الى تكريس الاحداث حضاريا ، فالصورة تختلف كثيرا ، ويمكننا ان نتحدث عنه بأكثر من اليقين والجزم . فالحدث يدخل في حضارة جاهزة ، يخضع لتأثيرها منذ يومه الاول . وبسبب عجزه لسنوات طويلة عن تأمين حياته بنفسه ، يأخذ في التوكل على الراشدين الذين حوله ، ويضطر الى مسايرتهم في سعيه للحصول على الامان والراحة . فيتعلم هكذا ان يشبع رغباته ويسد حاجاته بالطرق والوسائل الميسورة في بيئته . ولا يخفى ان مصدر اشباع الرغبة يستأثر مع الزمن بعاطفة الانسان ، وتتكثف حوله شحنة انفعالية تشده بقوة لحياة الفرد . هـو هذا الانصباب العاطفي على مصدر اللذة ، الذي يربط الانسان بالارض التي نشأ عليها وفتح فيها عينيه على مباهج الحياة ، كما يعطي الاهل وعالم الراشدين سلطانا على الاجيال الطالعة ، قوامه عجز الاحداث وعاطفتهم المنصبة على ذويهم كمصدر للراحة وضمانة للبقاء . هذا هو الاساس النفسي السياق التحضيري الاولي والرابطة الوطنية .

ان اختبار اللذة المشروعة وترقـب الالـم والعواقب الوخيمة من جراء الانحراف يغرسان في اليقين خطورة العرف والتقليد وضرورة مماشاتها ، فيستغـرق الفرد عاطفيا في انماط السلوك المألوفة في بيئته ، ويتقبلها في نظام عاداته . ولكن انى للمرء ان يقبل بمثل هذا الضغط ، دون ان يحس بضياع شخصيته وعزتـه الفردية ؟ ! فالسبيل النفسي لذلك يكمن في تحويل مصدر الضغط . فلكي يقي المرء نفسه من الشعور بضغط خارجي ، يبـادر تدريجيا ، وعن قصد، الى هضم حضارته ، فينمو لديه حس بالانتماء ، يدغدغ كيانه ويمزج حياته بحياة الجماعة. وبذلك يتحول مصدر الضغط من الخارج الى الداخل ، ويزول الشعور بالالزام ليحل محله شعور بالارادة الحرة

الشعور بالمسؤولية

ان مثل هذا الارتباط العاطفي بالجماعة يكون حجر الزاوية في البنيان الاجتماعي . لكن الشعور بالانتماء ، وان كان الأساس العاطفي لروح الجماعة والحس بوحدتها ، لا يضمن نضج الشعور الاجتماعي حتى يرفـده الشعور بوحدة المصير . ويتم ذلك عندما يحس الفرد بخطر يداهم مصدر بقائه وراحته . فمتى تعرض بيته او اهله او بلده ، وقد ركز عليها عاطفته فيما مضى ، الى خطر يهدد بقاءها او يفسد عليها سيرها المعتاد ، استفاق للذود عنها والتضحية في سبيلها بمقدار ما يشعر انه ينتمي اليهـا . تكتسب الارض وساكنوها ، عند ذلك ، وجها جديدا في نظره ، اذ يشعر ان بقاءه مرتبط ببقاء وطنه ، وانه يلتقي وذويه على صعيد المصلحة المشتركة . فيبرز الشعـور بوحدة المصير ، ويتركز الحس الاجتماعي على دعامة جديدة من روح المسؤولية والواجب.

فالشعور بالانتماء والاستعداد للمشاركـة بالمسؤوليـة هما الشرطان الاخيران للحفاظ على النظام الاجتماعي وضمان استمراره من جيل الى جيل . وبما ان هذه المشاعر مرتبطة بالتماثل الاجتماعي ، يحرص المجتمع ، بدافع المحافظة على النفس ، على ان يورث هويته الـى الاجيال الجديدة . فيفعل ذلك اولا بتدريب الاحداث عـن طريق الممارسة اليومية المباشرة ، ثم ما يلبث ان يعتمد نوعا من التربية المنظمة . ويهدف من وراء ذلك الى ان يعرف الاجيال الطالعة حضارة قومهم ، ويهيىء الظروف المادية والنفسية لغرسها في نفوسهم . وبتدرج نمو الذات ، ينمو بطبيعة الحال في الاحداث، ولاء حضاري يدعم التماسك الاجتماعي. فالمدرسة مؤسسة اجتماعية تقوم على الميل لدى البالغين لضمان استمرار حياتهم في اولادهم ، واستعداد الاحداث لتقبل الحضارة التي يعيشون فيها . والمسؤولية الكبرى التي تواجه الحاضر هي في ايجاد الوسـط السعيد بين الالتزام الحضاري الفكري والانعتاق من عبودية القيود .

المدرسة ميزان النمو الاجتماعي

المدرسة اذن مؤسسة اجتماعية . وككل مؤسسة ، انها التجسيد المادي ـ الاداري لبعض القيم الروحية . كما ان القيم الروحية تمثل بدورها المواقف التـي تتخذها الجماعات او الافراد من الحاجات الفعلية او الموهومة التي يحسون بها . وبما ان الحاجات تختلف من بيئة الى بيئة ومن زمن الى زمن ، فسلم القيم ستختلف بطبيعة الحال بالنسبة الى الزمن والمكان . كما ان المدرسة ستعكس هذا الاختلاف وتتكيف بمقتضيات الواقع الذي تنشأ فيه وتنمو.

وبالنسبة الى المجتمع الواحد ، هناك عوامـل عديدة تدخل لتؤثر في نوع الانتماء ونوع المسؤولية فـي مفهوم الفرد . ومن اهم هذه العوامل ، العامل الاقتصادي وما ينتج عنه من تفاعل اجتماعي . انه طبيعي ان يكون شعور الفرد بالمسؤولية تجاه مجتمعه شديد الارتباط بالشعور بالانتماء . غير ان الشعور بالانتماء ، وان كان ينمو عادة بطريقة عفوية لا واعية ، يرتكز بدوره ، كما بينا سابقا ، على الشعور بالمصلحة في الترابط الاجتماعي . فأي عجب، مثلا ، في ان يتخلى فرد عن مجتمعه ويهجره ، ولو بقي لديه بقية من حنين رومانطقي ، عندما يفسد عليه المجتمع مصلحته في البقاء فيه ، ويخيب شعوره بالانتماء اليه ؟ وصحيح ان الافراد الذين يفقدون الشعور بالانتماء كليا هم قلة في أي مجتمع . غير ان ما يحدث غالبا ، وفي كل زمن او مكان ، هو ان الشعور بفقدان العدالة في اشبـاع المصلحة النفسية لدى كل فرد في البقاء الافضل ، يسبب

توزعا في الولاء ، ويؤدي الى نشوء جماعات وطبقات في جسم المجتمع الواحد . فتعدد الولاء في المجتمع الواحد هو وليد التوزع في المصالح الذاتية وامكان اشباعها ، ووعي كل فئة من الافراد للمصالح المشتركة فيما بينهما . لذلك نرى ان الشعور المهم لدى الاحداث بالمسؤولية تجاه اوطانهم ومجتمعاتهم ، سيكتسب في سن الرشد اتجاها واضحا معينا . يستهدي مصلحتهم او ما يرون فيه مصلحتهم . وصحيح أن العامل النفسي يلعب دورا هاما في هذا السبيل ، غير ان العامل الاقتصادي بما له من علاقة بتوزيع الحظوظ والفرص لاشباع الحاجات المادية والنفسية معا ، يلعب الدور الاكبر . لذلك نرى ان توزيع الثروة القومية يؤثر في توزيع مراكز النفوذ في المجتمع ، وبالتالي في امكانات التمتع بفرص الحياه . فينشأ ضمن المجتمع الواحد مصالح مختلفة ، تؤثر بدورها في نوع الولاء ونوع المسؤولية التي يحسها الافراد تجاه المجتمع .

والمدرسة ، كمؤسسة اجتماعية تجسد القيم الغالبة المسيطرة ، ستعكس الاوضاع القائمة وتتطور اتجاهاتها واساليبها مع تطور التصارع الداخلي ضمن المجتمع . فالمدرسة هي ميزان النمو الاجتماعي ، ترجح احدى كفتيه تارة مع هذا الحق المنتصر وطورا مع ذلك . ولنا من ذلك عبرتان اساسيتان ، اولا من حيث دور المدرسة ، وثانيا من حيث المنهجية في تفهم ذلك الدور . فمن حيث الدور ، تمثل المدرسة دائما المؤسسة الفضلى للحفاظ على استمرار النظام الاجتماعي ، ومن حيث المنهجية ، لا يمكننا تقدير التطور في الفكر التربوي حق قدره ، دون الالتفات الى طبيعة التصارع الاجتماعي والمصالح الكامنة وراءه . فالتربية كمحاولة قصدية لاختيار قيم دون الاخرى في سبيل غرسها وتنميتها ، تعكس المصالح المادية والنفسية

وبعد هل لنا ان نتفهم تمام الفهم فكرة التربية المتحررة التي تنشد العلم كفاية في حد ذاته وتعتبر النبل في الثقافة في ان تتجه الى العقل التأملي والحس الجمالي ، دون ان ندرك نظام التقسيم الطبقي في مجتمع « اثينة الاغريقية » وتحديده لطبائع كل طبقة ووظائفها تحديدا يعكس بكل وضوح المصالح « المادية النفسية » لطبقة المواطنين الاحرار ؟ ! وكذلك ، كيف يمكن ان نفقه طبيعة الصراع بين الاتجاه الادبي ـ الكلاسيكي والاتجاه العلمي في اوروبة ، دون ان نقرن ذلك بالصراع بين طبقة الارستقراطية المحافظة وطبقة البورجوازية الصناعية التي، وان التقت بالارستقراطية على صعيد الوطنية ووحدة المجتمع ، ترى في الثقافة العلمية الضمانة الاساسية لمصالحها المادية والاجتماعية ؟ ! كما ان النزاع حول امتداد التربية الثانوية وامتداد التربية الابتدائية يعكس ايضا الصراع حول ديمقراطية النخبة والديمقراطية الشعبية . ومن مصاحبات هذا النزاع ، الخلاف في تنظيم التربية على مبدأ تنمية العقل من جهة ، او تنمية المواهب الفردية المختلفة من جهة اخرى . فديمقراطية النخبة ، وهي تتوخى العدالة الاجتماعية ، ترى في انتصار الادراك العقلي في معركة تتساوى فيها الفرص ، المبدأ الاساسي لتوزيع الاستحقاقات والامتيازات في المجتمع ، بينما يعتبر دعاة الديمقراطية الشعبية ان العدالة الاجتماعية هي في اعطاء الفرصة للحياة الكريمة لكل حسب مؤهلاته الطبيعية ، لا لاصحاب المواهب العقلية وحدهم .

وخلاصة القول ، ان تفهم دور التربية وسياق تطورها في التاريخ مرتبط بعوامل عدة ، اهمها من زاوية هذا البحث ، طبيعة انتقال الثقل الاجتماعي ـ السياسي عاموديا ، من جيل الى جيل ، وطبيعة توزع النفوذ الاقتصادي ـ الاجتماعي ، افقيا ، من طبقة اجتماعية الى طبقة اجتماعية اخرى . فبتعاقب الاجيال تواجه المجتمع مسألة الحفاظ على النظام الاجتماعي من جيل الى جيل ، فتقوم التربية بدور المؤتمن على الحضارة . لتبني اسس الشعور بالانتماء القومي . وبتوزيع النفوذ الاقتصادي ـ الاجتماعي من طبقة الى طبقة ، تبرز قضية العدالة الاجتماعية، فتقوم التربية بدور المكيف للعلاقات الاجتماعية لتعيد التوازن في الخطوط وامكانات التمتع ، وتدعم بالتالي الشعور بالانتماء القومي. فالشعور بالانتماء القومي وما ينتج عنه من شعور بالمسؤولية مرتبط جدا بقانون الافادة المادية والنفسية . واكثر ما يفهم دور المدرسة والتربية من خلال هذا المبدأ .

ولكن ينبغي الا نتصور ان التربية النظامية ترافق التطور الاجتماعي وتعكس ازمات الصراع الاجتماعي بشكل آلي ، سريع . فكمؤسسة اجتماعية ، تخضع المدرسة للسلطة القائمة او الطبقة المهيمنة التي وان عجزت عن صد التطور الفكري التربوي في ضوء التطور الاجتماعي ، تؤثر الى حد بعيد ، على الصعيد العملي . في الدور الذي تدعى المدرسة الى ان تقوم به .

وكخلاصة ، اود ان ابرز ان السعي لادراك القوى الفكرية الفاعلة في ظرف ما لن يجدي نفعا ما دمنا نعتمد مبدأ تفاعل الافكار ، مطلقا . فلا بد ان نعود دائما الى الظروف الاجتماعية التي ترافق تصارع الافكار ، والتي تمد الفكر بالحيوية والحركة . فالنظر في تفاعل الافكار فيما بينها ، يعطي صورة جلية عن القواعد التي انطلق منها ليعكسها في موقف عقلي ، ما لم نمعن النظر في الاوضاع الاجتماعية والسياسية التي ترافق تطور الفكر فالفكر الذي يثبت في الميدان الاجتماعي هو الفكر الذي ينبثق عن اوضاع الحياة نفسها ، والمواقف الحاسمة التي يتخذها البشر تجاه الشؤون الفكرية هي ذات علاقة وثيقة باوضاعهم الاجتماعية ومصالحهم . ولذلك ، فاذا ما وددنا ان نحيط بفكرة اجتماعية وان نتفهم مراحل تطورها، فلا بد من ان نربط الوضع الاجتماعي ـ السياسي بالجو الفكري ـ النفسي في عصر ما ، ونرى الى اي مقدار ينعكس الواحد في الاخر .

نعيم عطية

من مجامر الصخور

« مجامر الصخور » كتاب معد للطبع يضم مختارات كتبت بين ١٩٤٦ – ١٩٥٢

بقلم ثريا ملحس

كنت صخرة خرساء ، كنت صحراء ساجية، كنت لا ادري ما كنت، كنت اصلي في هيكلي ، ومن كوتي اتطلع الى الزمن الزاحف ، فاذا بي اسمع اصوات الالام ، تتصاعد ، تنفجر كالعيون، كالزهور ، كالايات الحسان.
صخرة تتدفق ، وصحراء تخضر . وانا ذرة حبة التوي . ملكي الفضاء ، تدفعني الرياح. وتسوقني الاصوات.
غيوم ... غيوم في دروبي ، طبق على طبق ، حدود وسدود .
قلق ... قلق ، متى .. متى يا الهي يتكلم حرفي ، ويزيل عني الالم ، ويجذف عن فضائي اصوات الالام ؟

*

.. تحطم زورق «عشتار» الجميلة. وصعدت من اغوار الارض الهة الموت « اللات » بوجه شاحب ، وشعر ابيض ، وثوب اسود طويل ، تلف باجنحتها الباردة « عشتار » ، تحملها أسيرة الى عالمها الترابي،تحت الارض. عزفت السماء لحن الموت للالهة الجديدة .
اما الاله « رع » فنام مزمجرا، وترك مسرح الكون للسلطة الجديدة .
متى يرجع الاله « نمرود » ليخلص عشتار الاسيرة من سجنها القاتم ؟
متى يعود « تموز » ، حبيبها ، ليردها الى الحياة ؟
من يعزف اناشيد السلام ، اناشيد الحب والجمال ؟

*

.. احبك لبنان ، احبك في بحرك الشتائي المتلون كالشلقاء ، احبك في صخورك الصماء الخرساء ، التي تتحدث عن كبرياء وعزة .
احبك في وديانك الغائرة ، الى اعمق الاعماق منسابة ، تحمل الينا انين الارواح الخالدة .
احبك لبنان في جبالك السندسية ، وفي جبالك الثلجية .
احبك في ارزك الشامخ السرمدي ، الذي يحدث عن مدى بعيد ... بعيد .
احبك في مغرك ، في هدير قاديشا ، وفي روعة جعيتا .
احبك في الوانك العبقرية ، لك من الاخضر لون ، ومن البنفسجي الوان ، ومن الازرق كل ما تشتهي العين والبصيرة ، ومن الابيض انطلاقة لا حد لها ولا نهاية .

*

.. الست بشرأ مثلكم ؟ لم بيني وبينكم هوة سحيقة ؟
انا غريب ، ان احببت ، احب الله في ذاتي ، وان ابغضت ابغضكم لان الظنون تشغلكم عن المعرفة والعلم .
وفي الوادي البعيد ترفضون ، تلملمون الثرى، وتسجدون في معابد كلها اصنام .
بعدتم عن قلبي .
بعدتم عن ذاتي .
ابغضكم ، لان انسانيتكم هراء ، والسنتكم شريرة ، انتم ماهرون في نشر وباء الفقر والجهل ، والتهام ما تجنيه يد الفلاح ، دون تعب دون عناء .
بعدتم عن قلبي وعن ذاتي .
ابغضكم لانكم خاملون ، كسالى ، تعيشون على قمامة المستعمرين ، تعيشون على قمامة تاريخكم وماضيكم السحيق .
كأنكم الان اموات ، العالم يسير مع البرق ، وانتم الى الوراء مسرعون ، لا حاضر لكم ولا مستقبل .
بعدتم عن قلبي وعن ذاتي .
أين الايادي التي تحمل المعاول لتواري اموات بلادي ؟
أين القوة التي تنقذكم من الانحطاط ، وتجركم الى حاضركم ، وتدفعكم الى المستقبل ؟

*

انا انسج اطيافي بانفاس الليالي ، وعلى غارب الرياح ، في العراء ، تؤنسني وحدتي .
وانت تلملم اوهامك بالذهب الاصفر ، تمد كفك الى التراب، تنفرج اصابعك، وينزف منها ما لمست .
انا اصلي، واشجار الصفصاف تغوص في لجج الانهار ، وقعقعات الغروب تطوي ما في الاغوار من الهوى الشحوب ، تنفش شعرها الاخضر بمناقير الطيور ، تسجد معي ، ويصعد من انامل الف معنى . وانت هناك ، بعيد عن هيكلي ، لاه عن المعاني ، ترى عيناك دون بصيرة ، فتدور على الجلاس ، تحطم كاسا على كأس ، ثم تلتوي في لجج التبر ، وتمشي في درب العدم .
انا ارمق الجمال ، واترعه اكؤسا ، فيسكر الكون ويسكرني .
شعاع الشمس حبالي ، ومرقدي النجوم ، ينشد لي الليل ، وتغرغر السماء ، تعزف على الناي ، فيلتهب صدري .
في الدغشة ، يوشوش القمر عن هيومي ، ويمد لي اوطافه الهامسة ، اتعلق بها ، وتظل لي ارجوحة .



ولد كورادو الفارو في مقاطعة كالابريا عام ١٨٩٥ ، وتوفي في روما في ١١ حزيران عام ١٩٥٦ . وهو يعتبر من اكبر الكتاب الايطاليين الذين يمثلون نهضة الادب الايطالي الحديثة . اشتهر في حقول الشعر ، والرواية، والقصة ، والنقد ، والرحلات ، والصحافة . وتعتبر قصته « الناس في اسبرومونته » في القمة من اعماله الادبية. وله كثير من الروايات والمجموعات القصصية ، ومجموعة شعرية واحدة. ومن مؤلفاته الشهيرة: سيدة الجزيرة (اقاصيص) ، عشرون عاما (رواية) ، الحبيبة في النافذة (اقاصيص) ، العمر القصير (رواية) وكثير غيرها . (المترجم)

* * *

لعل كاترينا حينما خطبت الى ذلك الفتى ، الذي كان يعجبها كثيرا ، كانت تعرف ما سيؤول اليه امرها . كان الفتى يأتي كل مساء خلف سياج الحديقة ، بعينيه الثابتتين تحت القبعة الكبيرة ، فتقفز كاترينا من النافذة وتمضي الى لقائه ، فيتعانقان تحت شجرة الدفلى ، وكانت ترتجف كالمقرورة لخوفها من ابيها ؛ وتحس كأن يدا تضغط على قلبها ضغطا شديدا ، كجوزة في قبضة مطبقة . وبهذا الاحساس من الرهبة والخوف من ابيها تزوجت رجلها . وفي المنزل الجديد راحت تتحدث عن ابيها فيصغي اليها الزوج متهيبا ، ويبدو كأنما يطلب منها الصفح . ان الشيخ لا يريد انيراها بعد الان لانها تزوجت رغم ارادته .

كان كل شيء بالغ الجدة في بيت كاترينا . قد يكون اجمل من بيت ابويها الا انه بارد وغريب ، كأنما يمكن ما بين لحظة واخرى ان يتعفر او يهدم . لقد حملت الى هنا بعض عادات اسرتها ، ومنها اشعال النور في وقت متأخر جدا ، رغبة في الاقتصاد، بينما يكون الظلام منتشرا. ولكن لم يكن شيء يعدل البيت الابوي وضجيجه ، والحركات التي تدور في داخله ، والكلمات التي يتردد صداها بين جدرانه . وهذا الرجل الجديد يقول اشياء بالغة الجدة بالنسبة اليها . انها لتذكر انه حينما كان يتكلم والدها كان كل شيء اكيدا ، صحيحا ، حقيقيا ، وكان المنزل راسخا الى الابد ، اما مع هذا الرجل فتشعر بأن لا شيء يحميها ، كما يشعر المرء في ليالي الارق حين لا يكفي غطاء السرير لتغطية جسمه كله .

وفي احدى الامسي بينما كان الشابان اشبه بصوتين يخفيهما الظلام ، ويحسان بأنهما خفيفان كأنما ذابا في العتمة ، قالت كاترينا بغتة وقد عادت الى التفكير بأبيها :

ــ ميكيل : اظن ان ابي قد لعننا !

قصة عائلية صغيرة

للكاتب الايطالي كورادو الفارو

ترجمة عيسى الناعوري

فاجاب صوت ميكيل من قلب الظلام بنبرات مستسلمة :

ــ ولهذا لا نستطيع ان نظفر بشيء من الخير .

ومضت هي في خيالاتها تتحدث بصوت مرتفع عن منزلها الابوي .

في ذلك المنزل الابوي لا تستطيع بعد اليوم ان تضع قدمها ، ولهذا تجري الامور سيئة . لقد كانت كاترينا تعرف لماذا لم تكن تقدر ان تشعل النار ، لانها كانت تحرق لها الطعام . وحين يأخذ النور في السطوع ، وتشتعل عيدان الحطب مفرقعة في النار ، كانت تخشى أن يصيبها مكروه ما .



وكانا كثيرا ما يتعانقان عناقا شديدا ، ويظلان كذلك ساعات من المساء في الظلام دون ان ينطقا بكلمة ، وكل منهما يحس بأن عيني الاخر ترمشان في وجهه. كانا فتيين ضعيفين ، وهما بذلك انما يحاولان ان يتشجعا ويقاوما ، وابوها على بعد اميال قليلة منها : ابيض ، قابضا على مصيرهما يتحكم به كأنه اله ، وكأنه يرى كل شيء ويعرف كل شيء . لقد كان بالنسبة اليهما يملك المقدرة التي يملكها الاباء تجاه الناس البسطاء، وتجاه الفتيات اللواتي ينفصلن عن المنزل في سن مبكرة ، وتجاه الفقراء والوحيدين .

ان كاترينا لتذكر انها حينما كانت صغيرة شفاها ابوها مرة من مرض الم بها بمجرد وضع يده على جبينها. وحينما كانت ترتدي ثوبا جديدا كان يقول لها : « عسى ان تتلقي الكثير من مثله في حياتك » . وفي الصباح كان صوته يهب ناعما ليوقظها من النوم ، فيجعلها سعيدة بأن ترى النور آمنة في المنزل القديم الثابت . كذلك تمضي الحياة لدى الابناء والبنات هنالك حيث الحياة بسيطة ، ثم في وقت ما يجد الواحد منهم نفسه وحيدا في العالم دون ذلك الرجل الذي يعرف الحظوظ والاقدار ، وعندئذ يعتريه الدوار فلا يعود يثق بعد ذلك بأحد . ولعل الفتيات انما يلتمسن اباءهن في الرجال دائما .

وحينما وضعت كاترينا ابنة ظنت ان اباها وامها سيحضران حالا لرؤيتها ، غير ان اباها لم يشعرها بوجوده ، اما امها فقد جاءت خفية وقدمت لها بعض النصائح لئلا تصاب الطفلة بالبرد ولاسيما حين تكون نائمة ، ونصائح اخرى اسدتها اليها

*** من مجموعة « أقاصيص من الادب الايطالي المعاصر » ستصدر قريبا عن « المؤسسة الاهلية » في بيروت .**

نهاية

وانتهينا
لم تعد في مرفأ الوهم
قلوب تتمنى
كل شيء
مر كالحلم علينا
انت .. يا ذات العيون العسلية
كنت قلبا يتغنى
كنت تاتين الى دربي صبية
حلوة العينين ..
تشتاق الي
كنت اشواقا
واحلاما ولحنا
غير ان الحب
في قلبك مات
وتلاشى
في تراتيل صلاة .. !

بغداد — خالد الحلي

كذكرى لحياة زوجية قديمة .

وكبرت الطفلة ، واصبح عمرها اربع سنوات ، وصارت تتكلم بشكل عجيب كأن هناك من يلقنها ما تقول، بالفاظ قديمة كانت تخترعها هي لانها لم تكن قد سمعتها من الاخرين ، ولعلها كانت تغترفها من ناموس قديم ، كالمطر الذي يظل ابد الدهر يردد الخطاب عينه . وعلى الرغم من صغرها كانت حركاتها كحركات فتاة يافعة ، وكأنها ملاك متجسد .

وزلقت قدم الطفلة يوما فسقطت واصيبت احدى ساقيها . وحينما كانت تسأل : « أين تحسين الالم ؟ » كانت تشير الى ساقها كأنها منطقة بعيدة ، فقد كانت ما تزال مضطربة : عيناها عالقتان بالسماء ورجلاها هناك على الارض . وكانت امها تضمها بين ذراعيها ضما شديدا وتقول لها : « ماذا اصابك يا صغيرتي ؟ ماذا اصابك ؟ »

وفي أحد الايام قالت الصغيرة : « اريد ان امضي الى جدي » . لعلها كانت قد سمعت لفظة « الجد » في الوقت الذي يبدو فيه الاطفال نياما ولكنهم يكونون اذ ذاك في كل مكان : يسمعون كل شيء ، ويتدخلون في كل حركة او نأمة او ضجة . وعند ذاك اعتقدت كاترينا ان الجد سيشفيها. لقد كان الجرح يأبى ان يلتئم ، وما تزال ساقها تؤلمها ، فليعالجها هو الذي كان قد لعنها .

فحملت الطفلة على ذراعها الى منزل ابويها ، وهناك قالت لهما : « انظرا ماذا اصابها . لقد وقعت ولم نستطع ان نشفيها بعد ، وجرحها يأبى ان يلتئم » .

ها هي اصوات المنزل المتشابهة التي تحس حينما تسمعها انها في موسم خالد . ها هي الاصوات العميقة دائما كأصوات الطبيعة :

« آه ، آه ! ابنة كاترينا ... هزيلة الجسم ... اهيه ! كلي ، كلي ! »

كان الشيخ هو الذي يقول هذا . ثم رفع الشعر عن جبين الطفلة وجسها كما يجس الثمرة ، وقال :

« انها هزيلة الجسم ، شديدة الهزال » .

وكانت الجدة تنظر اليها جالسة، وتحرك شفتيها مقلدة الفاظ الطفلة . ونامت الصغيرة ، فانصرفت كاترينا الى منزلها . وحمل الجدان الطفلة الى السرير ببطء وخفة . لقد استعادا بذلك عادتهما القديمة في العناية بمخلوقة صغيرة .

وضحك الشيخ بغتة ولكنه لم يجرؤ على ان يقول : « ها نحن نعود فنبدأ من جديد !» وجاء صوت الجدة من وسط الظلام يقول : « أرأيت ؟ ان جرحها مفتوح . هذه هي اللعنة التي صببتها على الام فأصابت الطفلة . انها لمسكينة بريئة لا ذنب لها » . وراحا يتحادثان بصوت منخفض :

ــ كان يجب ان نفكر في انها ستنجب ابناء .

ــ صحيح ، ولكنني كنت أظنه كلاما يطير في الهواء . وختمت ام كاترينا الكلام بقولها :

ــ عندما يكون المرء ابا فيجب ان يزن كلامه .

كانا يقفان في احدى الزوايا ويتكلمان همسا ، وعلى مقربة منهما طفلة متألمة ، ضحية كلمة غير حكيمة. انها طفلة جميلة حلوة .

وقال الشيخ : « انها تشبهني » . ثم ذهب ليراها وهي نائمة ، وامسك باحدى يديها في النور واسترسل يقول : « اذا كان هذا بذنبي فعلي علاجها ، وسأدفع للطبيب كل ما يطلبه لاجل شفائها » .

وفي الليل ــ وما اطوله على الشيوخ ! ــ راحا يتحدثان عنها وكأنهما يصنعانها من جديد بحديثهما.

ثم الفا رؤيتها في المنزل بحيث اصبحت وثيقة الصلة بالاثاث القديم، والكراسي المتصدعة ، فهي لا تفارقها لان مشيتها كانت سيئة فما تحاول ان تخرج انفها من الباب . وشيئا فشيئا ، من حديث الى حديث ، وبمساعدة الطبيب الذي كان يتقاضى اجرة عالية على زياراته ، شفيت الطفلة واندمل جرحها ، فلم تعد تشعر بالم ، وصارت تمازح وتهارش وتركض مع الاطفال ، ولا تعمل شيئا داخل المنزل . وعادت قطع الاثاث الى وحشتها الهرمة ، وكذلك الجدان اللذان لم تكن تخشاهما ابدا .

حينما كانت مريضة كانت تلاحق كل خطوة يخطوانها كأنها روح صغيرة، وكانت تتشاغل احيانا ببعض الامور ، فاذا ما جاء المساء جلست صامتة بجانب جدتها في الظلام ، واذا تكلمت لم تقل سوى كليمات . اما الان فانها تريد ان تركض ، ولا تفكر في شيء اخر .

وحملتها الجدة وعادت بها الى كاترينا سليمة قوية، همها ان تركض، فما ان تجد فرصة سانحة حتى تنطلق خارجة من باب المنزل .

عيسى الناعوري

وحدة الوجود

هذه بقايا نبضات سجلتها في مطلع الشباب والنفس ثائرة ، والقلب محتدم ، والروح متوجس قلق . اعود اليها بعد هذه السنين الطوال لانشرها بين الناس ليعلم الشباب كم كنا نعاني طليعته في الاربعينات من هذا القرن

عبد العزيز الدسوقي

(مايو ١٩٤٥)

القاهرة



جئنا من الازل الرهيب .... ولا نرى اين المصير؟
نسري على شط الوجود ... نجد في هذا المسير؟
كل يمثل دوره في « مسرح الكون » الكبير ! !

*

سيان عندي اليوم... يا ملاح... ماء او سراب!
فانشر شراعك ، واستعد لرحلة بين الضباب
في «زورق العمر» الحبيب... ولا تبالي بالصعاب
وسرى بي الملاح نشوانا على متن العباب
يحدو بمجداف السنين عوابر اللحن المذاب
بين العواصف، والزوابع في دجى الركن الخراب
وعزفت للاسماك ، والحيتان الحان الرباب
وهتفت يا اسماك ، يا حيتان يا وادي الشعاب
انا هارب من مسرح التمثيل من دنيا التراب
لاعيش بينكمو طليقا لا قيود .. ولا حجاب
فسمعت صوتا داويا ... قد طن في اذني وغاب
عد للحياة مكبلا ... لا لن تفر من العذاب
وتلاطم البحر الخضم ، وماجت اللجج الغضاب
وتجهم الكون العتي وغام في الافق السحاب
وسريت ... والملاح ... لا ندري الى اين الاياب؟

*

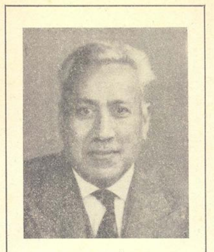
جئنا من الازل الرهيب ولا نرى أين المصير ؟
نسري على شط الوجود .. نجد في هذا المسير
كل يمثل دوره في مسرح الكون الكبير

*

انا .. من اكون ؟ وشرعتي ـ رباه ـ في هذي الحياة
موسى يمجد دينه ... ويسوع لا يقفو خطاه
ومحمد نسخت شريعته شريعة من عداه
ملل تنازع في الوجود ... وكلها وحي الاله
يا رب معبدي الوجود ... وشرعتي سر الحياه
انا اعبد الطين الحبيس ففيه اسرار النواه
انا اعبد الرعد المجلجل يا رفاقي في الفلاه
والبرق يترك للغياهب شعلة فيها سناه
انا اعبد الناي المرن مرددا بين الشياه
والمرج والاعشاب ، والانغام في وادي الرعاه
والبوم ينعب في الفضاء ... وكل اصوات النعاه
انا اعبد السر المحجب لا ارى شيئا سواه
روح تقمصه الوجود ... وشع فيه من رؤاه
انا.. من اكون وشرعتي.. يا رب في هذه الحياه
يا رب معبدي الوجود ... وشرعتي سر الحياه

*

جئنا من الازل الرهيب ... ولا نرى اين المصير
نسري على شط الوجود ... نجد في هذا المسير
كل يمثل دوره في مسرح الكون الكبير



محمد فريد ابو حديد

رسالة الاديب .. وقصر الذكريات

بقلم محمد فريد ابو حديد
عضو المجمع اللغوي بالقاهرة

الاستاذ محمد فريد ابو حديد الذي رأس المؤتمر الثاني للكتاب الاسيويين والافريقيين الذي عقد في القاهرة ، وعضو المجمع اللغوي وعضو المجلس الاعلى لرعاية الفنون والاداب بالقاهرة والمرشح لجائزة الادب التقديرية لهذا العام .. الاستاذ ابو حديد رأى ان يخص « الاديب » بهذه المقالة الضافية التي كتبت اصلا لتكون مقدمة لكتاب « قصر الذكريات » من تأليف فوزي عبد القادر الميلادي ولكنها تضمنت بجانب تقديم الكتاب بحثا هاما في رسالة الاديب في الحياة ...

* * *

قرات مرة في ايام شبابي قصة « آلام قوتر » في ترجمتها الانجليزية وبقيت بعد قراءتي اياما عدة وانا آسف حزين بل ثائر غاضب ، ولم يكن حزني ولا ثورتي لان تلك القصة العاطفية المحزنة بعثت في نفسي الكآبة لما فيها من احاديث الحب الخائب وما اعقبه من المآسي ، ولم يكن اسفي وغضبي لما اثارته هذه القصة في عواطف اهل عصرها من الاندفاع العاطفي الذي ادى الى انتحار بعض من تأثر بقراءتها من المندفعين في احزانهم عند قراءتهم لها . حقا لقد كانت قصة عاطفية مؤثرة محزنة بدليل ما بعثته في نفوس قراء عصرها وما بعثته ايضا في نفسي من الاكتئاب ولكن حزني وغضبي وثورتي كانت لسبب آخر غير ذلك الاثر المباشر الذي احدثته القصة في نفسي من الكآبة . فقد اخذت اسأل نفسي الم يكن للشاعر العظيم « جوته » مؤلف تلك القصة من دافع لتأليف تلك القصة غير الاهتمام بعلاقة رجل متأجج العاطفة بأمراة متزوجة والاهتمام بما ترتب على هذه العلاقة من آلام ومن خيبة ومن هلاك ؟ الم يكن لذلك المؤلف العظيم في نظر الاجيال المتعاقبة من اهل المانيا واوربا ـ بل من اهل العالم كله في الشرق والغرب ـ الم يكن له منْ هم الا ان يفرغ كل فنه وكل موهبته في مثل تلك المشكلة التي بدت لي مشكلة تافهة مع شبابي وثورة عواطفي ؟

والقيت بتلك القصة جانبا وانا اقول لنفسي ان في الحياة مئات من المشكلات والمواقف غفل عنها ذلك الاديب الكبير ولم تستوقف انتباهه مع انها تؤثر في كل قلب وفي كل عقل اكبر الاثر وتدفع الاديب الكبير الى ان يجول في تصورها وتصويرها بما يشاء له فنه العظيم فماذا دعاه الى اختيار هذه المشكلة دون غيرها ؟

وقد دفعني حزني وغضبي عند ذلك الى كتابة قصة عاطفية اخرى صور لي غرور الشباب انها اجد باهتمام الاديب من قصة رجل وقع في غرام امراة متزوجة وجره ذلك الغرام كما جرها الى مآسي شديدة واحزان مهلكة واخذت في كتابتها لاتحدث فيها عن مشكلة اخرى ايقنت عند ذلك انها اولى بالعناية والاهتمام من مشكلة «جوته» التي صورها في قصته « احزان قوتر » صورة شاب ورث من ابيه رعاية شؤون اسرته فجاهد في حياته جهادا شاقا ليؤدي واجبه الذي ملأ قلبه حتى قضى شهيد جهاده .

وهذه القصة التي الفتها وطبعتها من مالي القليل عند ذلك ذهبت الى حيث القيت في زوايا النسيان حتى اني لا اكاد اذكرها ـ واذا ذكرتها اسفت على ضياع ما بذلته فيها من جهد وما خسرت فيها من مال .

وكانت المشكلة التي جعلتها محورا للقصة هي مشكلة ذلك الشاب الصغير المكافح الذي لم يرث من ابيه مالا بل اثقله موت ابيه باعباء اسرته وهو ناشيء ضعيف كما ورث من مجتمعه القاسي اشد الجفاء والعناء فقضى حياته في كفاح خائب للعيش حتى هلك وهو يائس من نفسه ومن حياته ومن مجتمعه .

وقد دفعتني حيرتي في ذلك الوقت ان اسأل نفسي سؤالا ما زلت اسأل نفسي عنه الى اليوم وقد مر علي منذ ذلك الحين اكثر من نصف قرن من جهاد مستمر في سبيل التماس الاجابة عن ذلك السؤال نفسه وهذا السؤال هو هل للاديب وظيفة في الحياة ام ان وظيفته لنفسه وحدها ولشعوره وحده ؟ وهل يمكن ان يعد اديبا من لا يقوم بتأدية هذه الوظيفة الحيوية على وجهها

الصحيح مهما بلغت قدرته في الاداء ومهما بلغت عبقريته في الاسلوب ؟ واني آسف اشد الاسف حين اقول ان تجربتي في هذه السنين الخمسين التي قضيتها في محاولة الاجابة عن ذلك السؤال تدلني اليوم على اني كنت اتحدى في هذه المحاولة قوى عملاق كبير وهو المجتمع نفسه الذي كنت حريصا على ان التمس الاجابة عن سؤاله تأدية لحقه ورغبة في خدمته فهذا العملاق الكبير وهو المجتمع حريص كل الحرص على تملق مباذله والاشادة ببدواته . لقد بدا لي ان ذلك العملاق الضخم ما يزال سائرا في تياره حتى تهزه بين حين وآخر قوى كبرى لا يستطيع ان يهزها بل لا يقوى على مقاومتها ــ وذلك حينما يتعرض لثورات فكرية جذرية تجرفه في سبيلها وتحول بينه وبين مباذله وبدواته . حدث ذلك في اوقات الثورات الكبرى التي قامت بها الشعوب عندما احست ما اصابها من الضعف والاختلال عندما غفلت عن العملاق الكبير وتركته مع نزوات مباذله وبدواته . حدث ذلك في انجلتره ايام ثورة الشعب الانجليزي في ايام « كرومويل » حينما كبح العملاق الكبير وهو المجتمع الانجليزي عن مباذله في مدة حكم ملوك اسرة ستوارت وترك الميدان في الادب الانجليزي حرا لامثال الشاعر الكبير (ملتون) ثم من جاء بعده حتى ايام دريدن وبوب وسويتف ومن جاء بعدهم وحدث مثل ذلك في فرنسا في ايام الثورة الفرنسية حينما كبح العملاق الضخم وهو المجتمع الفرنسي الذي تعود العبث مع ادباء ملوك البربون فترك الميدان حرا لامثال «شاتوبريان» ومن جاء بعد ذلك حتى ايام «دوماس» و « هوجو » ومن جاء بعدهم واستمر هذا الميدان حرا قبل عودة العملاق الضخم الى استعادة توازنه ووقوفه على قدميه ليعود الى مباذله وبدواته ، فعاد ميدان الادب في انجلترا وفرنسا الى عادته في الاستجابة الى نزوات العملاق الكبير ومباذله وبدواته وعاد ادباء الانجليز والفرنسيين الى الانشغال عن وظيفتهم الحيوية الى تصوير المشكلات والمواقف التي تسترعي اهتمام ميولهم الخاصة ونزواتهم ونزوات مجتمعهم وقد قامت في مصر ثورة فكرية جذرية في اوائل القرن العشرين وبلغت ذروتها في سنة ١٩٥٢ عندما هبت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وما يزال عهدنا بها قريبا وكان مجتمعنا ما يزال سادرا في مباذله وبدواته طوال قرون طويلة من الزمان بل منذ احقاب طوال غارقا في احلام الف ليلة وليلة ولا يمكن ان يرتدع ذلك العملاق الضخم ويعدل عن مباذله وبدواته في هذه المدة الوجيزة ولكن المأمول ان تجرفه هذه الثورة الفكرية الجذرية معها حتى يعدل آخر الامر عن مباذله ويترك الميدان حرا لمن يريدون ان يحققوا استجابة صادقة موفقة تجيب عن السؤال الذي اسأله وهو : هل للاديب وظيفة حيوية عليه ان يؤديها بجد واخلاص ؟ هل وظيفة الاديب ان يتملق شهوات العملاق الكبير الذي يتحكم فيه وفي توجيه فنه ويرغمه على ان يتطوع بفنه لتلهيته وتسليته؟ وارجع الى الوراء في تاريخ ادبنا العربي فاقول ان الاديب الجاهلي على بداوته وبداوة فنه كان يتجه بمقدراته وبفنه اتجاها عفويا تلقائيا الى المشاركة في المشكلات الحيوية التي كانت تشغل اذهان قبيلته على تفكيرها وشعورها فتحدث عن غزواتها وعن ايام معاركها وعن ابطالها وما قاموا به من ايات البطولة في الدفاع عنها او الهجوم على اعدائها ثم اتى وقت الاديب الاسلامي الذي شارك بأدبه وبفنه في تصوير المشكلات الكبرى التي كانت تشغل اذهان اهل عصره وتصوير مثلهم العليا وآمالهم في الحياة ومذاهب قادته وزعماء الاحزاب القائمة في وقته وانصرف في مدائحه واهاجيه الى نصرة الحزب او الزعيم الذي ارتضى مذهبه او رغب في نصره سواء كان ذلك عن رغبة او رهبة ثم اتى وقت الدولة الكبرى الاسلامية التي صار المجتمع فيها عملاقا كبيرا الى جانب الدولة الحاكمة ذات القوة الرهيبة فاتجه الادباء في اتجاهات شتى وتحركوا مع دوامات قوية جرفتهم معها الى ترك واجبهم الحيوي والانصراف الى تملق العملاق الكبير وتملق بدواته ومباذله ولا نستطيع ان نجد جوابا عن سؤالنا اذا اتجهنا اليهم والى ادبهم فنسأل بغير مجيب عن ادب ابي نواس ومعاصريه ثم عن ادب المتنبي والبحتري. هل كان ادب هؤلاء متجها الى الجد في اداء وظيفة حيوية شعروا بوجوب ادائها نحو المجتمع ام لا ؟ وعندما نسأل هذا السؤال لا نستطيع ان نسمع ولا نستطيع ان نجد في انفسنا جوابا حاسما شافيا بل نختلف في الاجابة اختلافا عظيما لا نجد فيه سبيلا الى الاتفاق . فهل ادى شاعر مثل ابي نواس مثلا وظيفة حيوية لاهل عصره او لاي عصر من العصور التالية في الادب العربي ؟ واذا قال قائل انه كان شاعرا عابثا تافها لم يشعر بمسؤولية حيوية جادة نحو عصره ونحو الحياة التي كان يحيا في خضمها اجابة عشرات ومئات بانه عاش لنفسه وانه عبر عن مشاعره تعبيرا ادبيا رائعا باسلوب فني بارع وهذا يكفي مبررا لادبه ولفنه .

فالسؤال ما يزال قائما الى يومنا هذا وما يزال كثيرون من رجال الادب والفكر يتحاورون فيما اذا كانت للاديب وظيفة حيوية وهل يصح ان يعد اديبا اذا هو لم يقر بها او انه يكفي للاديب ان ينتج ادبا حلوا له قدرة على تحريك عوامل التسلية وعلى تملق مباذل العملاق الضخم الذي يتحكم في اتجاه فنه ؟ وما زلنا حتى الآن نسمع الى المناقشات الكثيرة التي تثور بين الاراء المختلفة حول وظيفة الاديب وحول الفارق بين الاداء الفني وبين الموضوع والمضمون بغير وصول الى نتيجة وبغير اتجاه الى غاية .

ولست اريد ان اطيل في خوض هذا الموضوع بما يخرجني عن الحديث عن موضوع مجموعة القصص التي بين يدي الآن وهي مجموعة من القصص القصار التي

الفها الاستاذ « فوزي عبد القادر الميلادي » ، فقد قرات هذه المجموعة فاذكرتني قراءتي لها بسوء الى الدائم القديم الحديث وهو السؤال عن الوظيفة الحيوية لادبنا في هذا العصر الثوري الذي طلع على مجتمعنا منذ اوائل هذا القرن العشرين والذي بلغ حد الانفجار الثوري منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ . ان ثورتنا النفسية التي بلغت حد الانفجار في ذلك التاريخ كانت محصورة في قلة من القادة الفكريين والادباء على حين بقي مجتمعنا او عملاقنا الكبير متحكما في مجالات الانتاج الفني والادبي وما يزال الى حد كبير متحكما حتى اننا ما نزال الى اليوم نتناقش فيما اذا كان للادباء والفنانين وظيفة حيوية نحو هذا المجتمع ، وذلك لان تحكم هذا العملاق باذواقه ومباذله وبدواته يحول بيننا وبين تبين الحقيقة البسيطة البديهية وهي ان الفن والادب عاملان من اهم عوامل معالجة مشكلات الحياة والمواقف الكبرى التي تواجه ذلك المجتمع بصفة خاصة وان وظيفة الفن والادب ليست تملق مباذل المجتمع وبدواته بل اخذه بالجد وتوجيه اهتمامه الى الاهم من اموره والاتجاه به نحو ما يجعله عملاقا قويا فعالا في الاتجاه نحو الكمال والعدالة والخير بكل ما تحمل الكلمة من معاني التطور نحو المثال الاعلى للحياة واغلب الظن ان الذين ما يزالون يتجادلون في معنى وظيفة الادب والفن يدورون في مناقشاتهم حول خطأ فاحش وهو الزعم بان الادب والفن يفقدان جمالهما اذا اتجها الى الجد والمثال الاعلى وان الجمال الذي يعدونه غاية الادب لا يتمثل لهم الا في الصور التي تستهوي الحاسة الحيوانية والمتعة الجسدية وهو زعم خدع الكثيرين قديما وما يزال يخدع الكثيرين حديثا ان الجمال في التعبير يزداد جمالا كلما كان اقرب الى لمس مواقف الجد وكان اتجاهه اقوى نحو المثال الاعلى والكتاب القيم « في الجمال » الذي الفه الفيلسوف « بنديتو كروتشما » فهو مشحون بالاشارات والعبارات العميقة الموفقة التي تشير الى ان الجمال المنطوي في الانتاج الفني والانتاج الادبي انما هو التعبير الوحيد الصادق الذي يعبر عن المعنى الذي يدركه الفنان او الاديب من الموضوع الذي يحرك اهتمامه ولو كان صورة للقبح او الشقاء في الحياة فالعبرة عنده بالموضوع الذي يحرك اهتمام الاديب او الفنان ومقدار نجاح الاديب في التعبير بادبه او نجاح الفنان في التعبير بفنه متوقف على مقدرته في التعبير الوحيد الصادق عما يدركه من معاني الموضوع الحيوي الذي يجذب انتباهه ويحرك اهتمامه .

وهو يقول «اذا زال القبح من الحياة واذا عمت الفضائل والسعادة ارجاء العالم اجمع فان الادباء لن يجدوا موضوعا تافها قبيحا يستدعي انتباههم او يحرك اهتمامهم او يدعو الى انكارهم وتشاؤمهم بل يكون ادبهم كله عبارة عن تصوير مشاعره البراءة والسعادة العامة والتفاؤل فيكونون جميعا ادباء من اهل المدينة الفاضلة يعيشون في مدينة فاضلة ولكن ما دامت الحياة ما تزال تنطوي على القبح او الشقاء او الخسة فانه لا مفر لهم من التعبير عن ذلك كله ومعنى التعبير عنه هو التصوير الحقيقي الصادق الذي لا يمكن ان يوجد الى جانبه تعبير آخر صادق يفي بتصويره على حقيقته فالاديب حين يتنبه الى ما حوله من القبح او الشقاء او الخسة ويقوم بالتعبير الوحيد الصادق عن ذلك انما يقصد من وراء ذلك ان يكشف عما يراه في المجتمع او العالم من آيات القبح أو الشقاء او الخسة حتى يعرف مجتمعه الانساني ما ينطوي عليه ذلك القبح او الشقاء او الخسة وليس وراء هذا الا ان يشعر من يطلع على ادبه بمقدار ما حوله في صورة واضحة صادقة كاملة ثم يترك الامر بعد ذلك للمجتمع حتى يتبصر في مصيره المحتوم ما دام القبح او الشقاء او الخيبة كامنة .

ويقول كروتشي ايضا : « ان الصدق « او الاخلاص » يقصد به اولا تأدية الواجب الادبي في الا يخدع الانسان جاره والخداع صفة بعيدة كل البعد عن اهل الفن لان الفنان لا يخدع احدا حين يعبر عما في نفسه بل انه ليخون واجبه بوصفه فنانا اذا هو قصر في واجبه هذا الطبيعي الاساسي » .

ويقول ايضا « فاذا كان الفنان من الادعياء او الكذابين أو المعتدين المفسدين فانه يعكس طبيعته في فنه ويقول «كروتشي» ان الفنان الحق يجد نفسه مفعما بموضوعه فلا يدري كيف حدث ذلك : هو يحس الوقت الذي يتولد فيه التعبير عما هو مفعم به ولكنه لا يستطيع ان « يريد » حدوث هذا الميلاد او عدم حدوثه « لان ذلك الميلاد يحدث عفوا » ... ومعنى هذا ان الاديب اذا تعمد نزوات مجتمعه ومباذله فانه لا يكون جديرا بان يطلق عليه وصف الاديب.

والذي يتبع آراء هذا الفيلسوف في بحثه عن معاني الجمال في الفن والادب لا يملك الا ان يشعر بان من رايه ان الفنان بصفة عامة « سواء كان اديبا او فنانا مصورا او موسيقيا او غير ذلك » انما هو انسان وهبه الله موهبة خاصة يتمكن بها ان يطلع على الحياة كانه يطلع عليها من نافذة خاصة به فتقع عينه منها على ما هو طبيعي له ان يراه وكذلك الحال في سائر الناس فان كلا منهم يطلع على الحياة من نافذة خاصة به فيرى منها ما هو طبيعي له ان يهتم به ويجذب انتباهه .

فالاديب الحق حين يطلع على الحياة يجد ان انتباهه واهتمامه قد اتجها به الى الموضوعات التي ينبغي له ان يتجه اليها ويهتم بها ويدركها ادراكا تاما كاملا ويعبر عنها تعبيرا صادقا مخلصا يصور المعنى الذي ملأ نفسه من هذه الموضوعات .

وكل ذلك يؤدي الى نتيجة واحدة وهي ان ذلك الفيلسوف ايضا يرى ان الاديب بطبيعته له وظيفة حيوية نحو الحياة التي يعيش في خضمها والمقصود من قوله ان يكون للاديب وظيفة في الحياة التي تحيط به هو ان

وظيفة الاديب هي الاهتمام بالمجتمع الانساني الشامل الذي يحتوي على الانسان وتصوير ما يتجه اليه اهتمامه من المشكلات والمواقف .

اظنني قد اطلت واسرفت في التعريج هنا وهناك مع السؤال القديم الذي شغلني الحديث عنه منذ بدأت في كتابة هذه الكلمة وقد آن لي أن اذكر نفسي بالكتابة عن مجموعة القصص القصيرة التي بين يدي هي مجموعة قوامها اثنتا عشرة قصة من القصار يتجه فيها اهتمام المؤلف الى طائفة منوعة من المشكلات والمواقف الحيوية التي نحسها جميعا ، ونتأثر بها جميعا . وقد جعل عنوان المجموعة« قصر الذكريات »وهو عنوان القصة الاولى من المجموعة

وهذه القصة الاولى تصور موقفا نبيلا استرعى انتباه المؤلف وهو موقف احد ابطال الكفاح في فلسطين وكان متعلقا بحب فتاة من نشأته ولكنها فقدته حين قضى في ميدان القتال وترك في قلبها ذكرى خالدة نبيلة من حبهما الخالص .

ثم تزوجت الفتاة برجل احبها واخلص لها وبادلته حبه واخلاصه بحكم العلاقة المقدسة التي نمت بينهما طوال عشر سنوات ولكن الظروف كانت قد هيأت للزوج ان يعرف قصة حبها السابق للشهيد البطل خطيبها السابق الذي فقدته حين مات في ميدان الشرف كما ان الظروف هيأت للزوجة ان تمر بالقصر الذي شهد حبها الاول لخطيبها الفقيد وكانت عند ذلك في صحبة زوجها . ووصف المؤلف عصف مشاعر الذكرى بالمرأة حتى خشيت ان يؤثر ذلك في حب زوجها واخلاصه لها . غير ان المؤلف صور الزوج رجلا نبيلا لم تداخله الغيرة من ذلك الحب القديم بل زاده محبة لها وتقديرا لوفائها .

وقد استطاع المؤلف ان يخلع على قصته جوا طبيعيا هادئا فلا يكاد القارىء يتبين في كل خطوة منها ما تكون الخطوة التي تأتي بعدها حتى يتم تصويره فتبدو الخطوة التالية طبيعية هادئة ليس فيها ادعاء ولا ضجة حتى ينتهي القارىء منها بغير ان يحس تكلفا او افتعالا او ضجيج صوت يطلقه معلم ليسترعي انتباه قرائه بل يجد انه بلغ نهاية القصة فيتنفس تنفسا عميقا مرتاحا الى ما قراه مطمئنا الى ما شعر به في قراءته متمثلا للصورة الهادفة الجميلة التي عبر بها المؤلف عن ادراكه الشاق للموقف .

وقد استرعى اهتمام المؤلف الاديب موقف مغامرة انسانية كبرى استمرت اكثر من سبع سنوات تسترعي اهتمام العالم العربي كله بل استمرت تسترعي اهتمام الانسانية كلها وهي حركة الجهاد القومي في الجزائر . . . شعب مستبسل مستقتل في سبيل حريته الى اقصى ما يصل اليه الانسان في استبساله واستماتته في سبيل نيل حريته — لقد تحمل احرار الجزائر كل انواع التعذيب في جهادهم رجالا ونساء وبذلوا في جهادهم النبيل اكثر مما بذله الاحرار عادة في جهادهم من تضحيات بذلوا فيها اموالهم ودماءهم رخيصة من اجل تحقيق غايتهم المقدسة واكثر من ذلك انهم تحملوا الوان التعذيب الوحشي الذي لم يصدر مثله في وقت من اوقات الاضطهاد التاريخي الا في مواقف الاضطهاد الديني المتوحش او في مواقف المصادمات العنيفة قبل عصور التمدن البشري . وتحمل المجاهدون الاحرار في الجزائر من نساء ورجال كل ما وقع عليهم من التعذيب بغير ان تصدر عنهم نأمة ضراعة او نكول عن موقفهم النبيل . حتى لقد اعجب المستعمرون انفسهم وانصارهم من دعاة الاستعمار بما ابداه ذلك الشعب المجاهد من صلابة في الحق وصبره على المكاره حتى لقد نشرت بعض الصحف الاوربية مقالات رائعة تعبر عن اعجاب جماهير شعبها بعظمة ذلك الجهاد واصحابه وقالت احدى هذه الصحف في عنوان احدى مقالاتها ولذا احرزت الجزائر حريتها بما تحملته من اضطهاد وتعذيب .

فلا عجب اذن ان يسترعي شعب الجزائر المجاهد العظيم اهتمام المؤلف الاديب فصور ذلك الموقف في بعض قصصه في هذه المجموعة نستعرض منها هنا قصة « فوق الجبل » قصة الفتاة العروس زهرة التي وقفت الى جوار خطيبها حسين امام شيخ المسجد في قريتها الجبلية وكان عقد قرانهما في احدى المغارات البعيدة في الجبال وقد ساد المغارة صمت رهيب في ظلام حالك لولا بضع لمعات كان لهيبها يتراقص في جوف المغارة وكان هذان العروسان من المجاهدين في الجزائر وكان المهر الذي قدمه الزوج لعروسه قطعة مقدسة — لا من الجواهر والحلي — بل قسم الا يقرب احدهما الآخر الا بعد ان تستقل الجزائر — ومدفعا رشاشا اخرجه الزوج من ملابسه وقدمه للفتاة التي اختارته زوجها .

ومضى المؤلف الاديب في رسم قصته . او بقول اخر في رسم لوحة بالوان عرف كيف يؤلف بينها وكيف ينسق تركيبها حتى اتمها لوحة بارعة بليغة الاداء حتى عرض صورة العروس . وهي في هيئة قروية حسناء تحمل سلة مملوءة ببيض الدجاج تطوف بمنازل القرية الجبلية وتترك في كل دار تطرق بابها واحدة من البيض الذي تحمله في سلتها بغير ان تتقاضى لها ثمنا وكانت كل بيضة تنطوي على ورقة صغيرة فيها رسالة جهاد تهيب بنساء القرية ان يشاركنها في زحف عام صاعد على سفح الجبل — ولم تتردد واحدة من النساء في الاستجابة الى نداء الفتاة القروية حاملة سلة البيض فدفعن جميعا في صف طويل صاعد على السفح وكل منهن تحمل سلة صغيرة وتلبس ازهى ثيابها واخذ الجميع يتحركن نحو اعلى الجبل وهن ينشدن النشيد القومي في التغني بالحرية ، ثم انهال على هذا الجمع رصاص قاتل من فرقة جيش المستعمرين المرابط على السفح من اعلى . وكان جيش الثورة الجزائرية مرابطا في اعلى الجبل فرأى

« خيضر » قائد الفدائيين منظر هؤلاء الفتيات والرصاص يحصرهن من كل جانب فهاله الامر حتى صاح في غضب منكرا على الفتيات الاقدام على اعداد هذه المغامرة التي تعرضن فيها للهلاك في محاولة ساذجة ، غير انه تبين ان اثنين من الفدائيين كانا يتسللان مع زوج زهرة من السفح الى اخوانهم المجاهدين يحملون لهم الامداد من السلاح والذخيرة وكان صف الفتيات متطوعا بستر هؤلاء المجاهدين عن اعين فرقة المستعمرين المرابطة فوق الجبل.

واستطاع الفدائيون الجزائريون بهذه الاسلحة وما معها من الذخائر ان يصبوا نيرانهم من اعلى الجبل على فرق جنود الاستعمار التي كانت قد حاصرت صف الفتيات فوق السفح « فتساقط الفرنسيون « كالذباب » ومن بقي منهم اخذ يعدو نحو السفح وهو يعوي » .

وعندما توقف اطلاق النار نظر حسين الى باب المغارة فاذا به يفاجأ بامراة في ثياب الفلاحات تقترب من المغارة زاحفة وكانت الدماء الغزيرة تنزف منها فامعن النظر في وجهها ولفرط دهشته راى انها زهرة خطيبته التي زحفت فوق الصخور برغم ما اصابها من الجراح لكي تشترك في القتال مع خطيبها ومع اصحابه من المجاهدين وتحدثت الى خطيبها الحديث الاخير قائلة « اريد ان اموت بين ذراعيك وكل ما ارجوه ان تعاهدني بانك لن تضع السلاح حتى تثأر لي ولكل المجاهدين وحتى تستقل الجزائر » .

وانحنى حسين عليها وقبلها وهو يردد «اعاهدك» ..

انها لوحة ناطقة بارعة .

ولا تقتصر هذه المجموعة من القصص القصيرة على رسم اللوحات التي تمثل ما ينطوي من المشاعر الانسانية القوية في المواقف العنيفة من نضال الجماعات والشعوب بل عرج كثير منها على المشاعر الانسانية التي لا تقل عنها قوة في مواقف اخرى تثور في داخل مجتمعنا ولا يخلو منها عصر من العصور ولا جيل من الاجيال — اعني تلك المواقف التي تثور بين زوجين متحابين وبينهما ذرية ضعيفة تحتاج الى كل منهما حاجتها الى الحياة ولكن الحماقة قد تدعوهما جميعا او تدعو احدهما — الزوج او الزوجة الى الاندفاع في غضبه عقب خلاف في الراي او شقاق في امر من الامور فيقطع العلاقة الزوجية او يشرع في هدم عشه الزوجي بغير تفكير فيما يعقب ذلك من الآلام والمآسي .

ففي « قصة خيال امراة » يصور لنا المؤلف الاديب موقفا من تلك المواقف ويلقي الاضواء على ما في قلب كل من الزوج والزوجة من المشاعر المضطربة المتصادمة ليبين ما ينطوي عليه تفكير كل منهما من الحماقة كما يبين لحبيب التحليل النفسي عما ينطوي عليه شعور المريض الذي يحلل نفسيته فيكشف له عما يعتمل في اعماق لا شعوره على اساس الانحراف الذي يوشك ان يهدم حياته من اساسها . فالزوجة «فتحية» (تتقلب في فراشها عقب « غضبها » من زوجها واستمرت تفكر فيما قد يكون عليه حال زوجها في تلك الساعة من الليل — الثانية صباحا — وهي ما تزال تتقلب قلقة ساهرة تسأل نفسها « هل سيأتي اليوم الذي تعود فيه الى منزلها » متى يأتي زوجها رشدي ليصالحها وهل يقبل ان يحضر اليها في منزل والدتها ويلتمس رضاها ؟ هل من الممكن ان يحدث هذا بعد ان مر عليها وهي بعيدة عن عشها ستة اشهر عقب غضبتها الحمقاء التي ثارت فيها من اجل خلاف تافه حول مساعدة زوجها لاخته المحتاجة اليه وقد طالما حاولت امها ان تبث امل في صبرها الذابل في عودتها وتلافي اثار تلك الغضبة الحمقاء فكانت كلما دق الباب خيل اليها ان رشدي هو ذلك الطارق الذي يدق بابها وقد جاء يرجوها ان تعود الى المنزل وهو يفتح لها ذراعيه ويتلقاها بالقبلات ، انها تعلم يقينا ان زوجها رشدي يحبها حبا عميقا ولكنها كانت في اعماق لا شعورها تخشى ان يدفع الملاك هذا الزوج المحب الى الانصراف عنها وهدم عشها وتشريد ولدها الصغير مجدي وان ذلك الابن الحبيب يتعرض الى ان يعيش — اذا عدم عشها — في كنف زوج أم ثم تتلقفه بعد ان يترعرع زوجة اب وانها ستكون السبب في شقائه ، وكانت حين تفكر في هذا المصير ينتظر ولدها تشعر بهزة عنيفة تهزها واحست بهاتف يصيح بها ما الذي يحول بينها وبين معاودة الحياة مع زوجها وولدها ؟ ويصيح الهاتف بها « لا شيء » لا شيء يحول بينك وبين العودة الى زوجك » . ولكن القارىء يستطيع ان يضيف الى ذلك عبارة توحي بها القصة من بين اسطرها فيقول « لا شيء » يحول بينها وبين زوجها سوى الكبرياء والمكابرة الحمقاء » .

واوحى اليها ذلك الهاتف ان تدبر خطة تحاول فيها ان تواجه زوجها كأنها تقابله عرضا في الطريق لعل ذلك اللقاء يمهد لها السبيل الى العودة الى الصفاء — نعم فما زالت الكبرياء الحمقاء تحول بينها وبين اللقاء الصريح .

ولكن والدة فتحية تخطو الخطوة الجريئة التي حالت الكبرياء بين ابنتها وبين العودة فذهبت الى رشدي لتمهد لها ذلك السبيل بنفسها .

وتمضي القصة في مسلكها متدرجة هادئة لا يكاد يلمح القارىء الى أين تتجه به حتى تصل الى علم فتحية بما قامت به امها من التمهيد لعودتها وهي لا تكاد تصدق ان الامل يعود اليها غضا بعد أن ذبل او كاد يصوح ويزول .

توقفت كالمذهولة وقد عقدت المفاجأة لسانها ثم دق الجرس فأسرعت تصفف شعرها وتصلح هندامها وتزيل اثار الدموع من وجنتيهاوتنتظر ان يفتح الباب ليدخل رشدي الحبيب.

هكذا يعالج المؤلف الاديب مواقف الحياة — سواء منها حياة الشعوب وحياة المجتمع ويصور لنا ما فيها من اقوى المشاعر الانسانية في مآسيها ومغامراتها اليومية في صور بليغة بديعة الالوان متلألئة الاضواء .

ذات لـيـلـة ...

... وانتهينا .
حسبنا انا انتهينا ،
فهدمنا بيدينا ما بنينا ..
حسبنا انا بلغنا كل ما
نتمنى ، واستطعنا ، وابينا ...

سوف نبقى ، ما بقينا ، وخزة
في ضمير العمر ، تستوفيه دينا .
سوف نبقى جمرة مخنوقة ،
ورماد الصمت اكداسا علينا ...

قد نشدنا الحب همسا دافئا
فتهامسنا ، فضعنا ، فاهتدينا ،
فسكبنا حلمنا في كاسنا ،
فشربنا ، فطربنا ، فانتشينا ...
واشتهيناه فراقا هادئا ،
أن قضى الـ « لا بد » يوما وانثنينا ،
وابى اللابد الا فصلنا ،
فانفصلنا مثلما كنا اشتهينا .

وحدنا . والفجر عنا غافل ،
في مكان طالما فيه اختلينا .
دمعة في كل عين رفرفت ،
والتحام يتولى مرفقينا .
ثلثت خلوتنا « طاولة »
حضنت ، واجفة ، زندي كلينا .
يا لها ثالثة ! كم سمعت

همسنا ! كم خبات لقيا يدينا !
ثم وريقات كتبنا فوقها !
كم سكبنا حسنا في قلمينا !
كم ضحكنا من عيون حولنا ،
ارسلت مشحونة ظنا الينا !
كم تراشقنا عتابا قارسا ،
فافترقنا ، ثم عدنا فالتقينا
قربهـا ! ...
والان يمضي ليلنا
حيرة خرساء ...
ـ « يا ليل ، الهوينا ! »

قدر قهقه ، منا هازئا ،
فنسينا هـزءه في ضحكتينا .
وتسارقنا بقايا نظرة ،
ولدت عزما ، وماتت بين ـ بينا ...

كم توهمنا الاماني دمية
تركت مقودها في قبضتينا ! ...
واضاع العمر ، انا لم نجد
غير وهم ساخر في راحتينا ...

ليلة ، من فجرها نمضي الى
ذمة المجهول ، لا نعلم اينا ...
يا لها ذكرى ! ستبقى وخزة
في ضمير العمر ، تستوفيه دينا ...

يونس الابن

ولو اردت ان أتحدث عن سائر قصص المجموعة لسرت على هذا النمط مستعرضا كل موقف ومشيرا الـى كل مشكلة حيوية ابدع المؤلف في ادراكها الشامل وتصويرها والتعبير عنها تعبيرا صادقا ــ مما يعتبره الفيلسوف بندتو كروتشي محققا لمعنى الجمال في الانتاج الادبي .

فلادع للقارىء ان يتملى بهذه القصص القصيرة واحدة بعد الاخرى راجيا ان يجد فيها مـن الارتياح والسرور النفسي ما وجدته عند قراءتها راجيا ان يواصل الكاتب الاديب دأبه في انتاج مثل هذا الادب الجاد الذي يصور لنا انفسنا غير عابىء بتملق العملاق الكبير الذي تعود فيما مضى ان يواصل تحكمه في انتاجنا الادبي الحديث .

القاهرة **محمد فريد ابو حديد**

الغوطة في الربيع

* * *

خطرت بمحبوك الربيع تصفق   والفجر يعصف غربه المتدفق
وتبرجت بمطارف من سندس   عجب تكاد من النضارة تشرق
ألوانها قوس الغمام تعددت   ألوانه وتنورت تتالق
فوضى من الاضواء كاد بريقها   فوق الثرى من جدة تتدفق
من كل زاهرة كعين مدله   نظرت اليك بمدمع يترقرق
عصف النسيم معابثا بغصونها   فتمايلت من دونه تترفق
نشرت جناح فراشة أغصانها   ما انفك من عبث الوساوس يخفق
ولوت على همس الربيع بجيدها   سكرى تحدق بالعيون وتطبق

لله ما نسج الربيع وزوقت   يمناه من وشي بطيب يعبق
في كل رابية تلاطم للضحى   يم بمشبوب الغوارب مطبق
حضن الربى بالدفء من اضوائه   كالام تحضن صبية وتطوق
والزهر في سرر الغصون كمقلة   يطفو النعاس بجفنها ويرنق
والطل في اجفانها دمع الصبا   ينهل منسكبا لنار تحرق
وكان مخضل الجميم على الثرى   أفق بمنسكب الغمائم يغدق
عصفت غواربه فخف مزغردا   غرد وصفق بالجناح مصفق
وشدت مطوقة لرجع هواجس   شتى يؤرثها جوى وتشوق

عجبي لها من جنة أبوابها   للوافدين على المدى لا تغلق
دون الجنان مكاره من دونها   غصص تغص بها النفوس وتزهق
ولواعج يفري الكبود لهيبها   من جامح نيرانه لا ترفق
والغوطة الخضراء ما من حاجب   يزع المشوق حيالها او يرهق
أبوابها للوافدين تفتحت   فاذا الجموع ببابها تتدفق
من كل مشتاق ترامى شطرها   والصدر من برح اللواعج ضيق
عي اللسان عن البيان ولم يحر   قولا واعوزه البيان المشرق
ولرب صمت لم يدع لمفوه   نذرا يقال ولا لسانا ينطق

نشرت يد الصفصاف فضل مآزر   من ظلها وتعطفت تتأنق
ماست كغانية بخضر مطارف   أفوافها كشبابها لا تخلق
يا حسنها والظل يعصف دونها   كالسيل منهمرا جرى يترقرق
والحور مد جناحه كنعامة   راحت بأجواز السماء تحلق
والدوح مثل غمائم عصفت بها   ريح فراحت بالجناح تصفق
من كل سامية زهت مختالة   بفروعها وسمت تطول وتسمق
شجر توقد كلما تلع الضحى   اوراقه من نضرة تتألق
لا تستبين مدى له عين الفتى   كالبحر في ليل ضرير يغسق

نضرت مرابعها بمخضل الندى   حتى كأن جميمها الاستبرق
في كل مندرج بها لكرامة   علم بأجنحة العقاب ترنق
طابت منابت تربها وتألقت   عن كل زاهرة تروق وتعشق
ما كان بدعا ان تطيب غراسها   ودم الضحايا مائج متدفق
وازاءها ماض يشوق كتابه   فيه الفخار مدبج ومنمق
صفحاته فوق الثرى منشورة   هيهات تبلى أو ترث وتخلق
سطر الفخار بهن كل عظيمة   عن غابر بشذا المكارم يعبق
وبطل تاريخ يشع ضياؤه   من دونه تعنو الرقاب وتطرق

دمشق   عدنان مردم بك

قال الكاتب :
وهكذا الفيت نفسي اشق طريقي الى احد الاطباء . فلما لقيته سألني : متى كانت اخر مرة ذقت فيها الخمر؟ قلت : منذ لحظة جد قصيرة .. وكان هذا الطبيب شابا يتراوح عمره بين العشرين والاربعين . والناظر اليه يرى فيه مشابه من نابليون . ولقد احببته الحب كله منذ التقينا ..

ونظر الي هذا الطبيب وقال : ساريك اثر الخمرعلى الدورةالدموية. وما لبث ان عرى ذراعي الى المرفق وجاء بزجاجة من الويسكي واعطاني كأسا . ثم جاء برفادة وشدها على ساعدي ثم ضغط على كرة من المطاط تتصل بجهاز يشبه مقياس الحرارة وظل الزئبق يترجح ويتذبذب صعودا وهبوطا وكأنه لا يريد ان يتوقف . ثم رايت الطبيب يسجل رقمين هما : (سبع وثلاثون ومائتان) ثم (خمس وستون ومائة) . ثم قال : والان فقد رايت انت ما تفعله الخمر في قياس ضغط الدم .

قلت : هذا عجيب جدا ! ولكن هل تظن ان هذه التجربة كافية ؟ وما رايك في ان تسقيني كأسا اخرى وتقيس ضغط ذراعي الاخر ... فلم يستجب لقولي بل جاء بابرة وشك بها اصبعي ثم اخرج نقطة من دمي ثم لبث يقارن بين لونها وبين الوان عديدة رسمت فوق ورقة كانت معه وقال ان هذه التجربة تجربة « الهيموجلوبن » وقد دلت على ان لون دمك ليس كما يجب .

قلت اعرف ذلك واعرف انه كان لزاما ان يكون لونه ازرق ولكنني اعيش اليوم في بلد اختلطت فيها انساب الشعوب المختلفة . واعرف ايضا ان بعض اجدادي كانوا من طبقة الفرسان ولكنهم صاهروا اقواما اخرين فاختلطت دماؤهم ..

قال الطبيب : انما اعني ان حمرة الدم عندك حمرة باهتة ..

ثم اخذ الطبيب يضرب بيده ضربا شديدا عند مكان الصدر ثم بدت على وجهه امارات الجد وذكر لي اسماء امراض تنتهي كلها بالمقطع « itis » الذي اذا اضيف الى اسم عضو من اعضاء الجسم دل على التهاب ذلك العضو كالتهاب الكلي والتهاب المفاصل والتهاب الاوردة الى اخر ما هنالك من التهابات ..

فلما فرغ من عد تلك الامراض سألته افي واحد او في جملة من تلك العلل والامراض خطر على صحتي ؟

قال : انها كلها تنذر بالويل والثبور . ولكن من الممكن وقف تلك الامراض عند حدها . وانك بالعناية البالغة وبالعلاج الصالح المستمر قد تستطيع ان تعمر فتبلغ الخامسة والثمانين او التسعين ..



تأليف أو . هنري

ترجمة مبارك ابراهيم

قلت ان في الخمسة والثمانين عاما الكفاية وفوق الكفاية ، فقال لي - وقد ابدى مزيدا من العناية ، ان اول شيء عليك ان تعمله هو ان تجد مصحة من المصحات تقضي فيها فترة من فترات الراحة التامة . ولسوف اصحبك بنفسي لاختار لك مصحة تلائمك ..

ومن ثم فقد اخذ بيدي الى مستشفى للمجانين يقوم فوق جبل اجرد . لا يؤمه الا القليلون . وهناك لا يرى الراؤن الا حجارة وصخورا والا بعض قطع من الثلج والا بضع شجرات من اشجار الصنوبر .



وكان الطبيب المقيم في ذلك المستشفى رجلا مرضي الخلق . وقد اعطاني دواء منعشا ومقويا دون ان يشد الرفادة على ذراعي . وكان انوقت وقت الغداء وقد دعينا الى مشاركة القوم غداءهم . وجاء الطبيب المقيم فجلس الى مائدتنا وقال : ان نزلاء مستشفانا قد تعودوا ان لا يحسبوا انفسهم مرضى يعالجون ولكنهم قوم يستريحون . ومهما يكن بهم من امراض فان عليهم ان لا يشيروا اليها في حديثهم ابدا ..

وامر الطبيب فجاؤني بصنوف من الادوية : المسكنة منها والمقوية . فلما سمع الضيوف الاخرون اسماء تلك الادوية تصايحوا بقولهم:«نيوراستينيا»! وشذ واحد منهم فقال : بل ادمان على الخمر مزمن !

وبعد ساعة قادنا هذا الطبيب الى المصنع وهو يبعد مسافة خمسين ياردة . ثم اسلمنا الى طبيب اخر فقال هذا لنا : ان نزلاءنا سوف يلقون هنا الراحة من متاعبهم العقلية وذلك بانهماكهم في العمل اليدوي ففيه على التحقيق راحة لعقولهم المتعبة .

ونظرنا فراينا سيدة تصنع اقراصا من الوحل في زاوية من زوايا المصنع وسمعنا الطبيب يهمس بقوله : ان هذه السيدة هي لولو ليلنجتون مؤلفة رواية (لماذا يحب المحبون) ..

ثم مضى الطبيب يقول : وهذا السيد الذي يصب الماء في المواسير هو احد كبار السماسرة وقد اضر به العمل المضني المتواصل .

ثم راينا في من راينا مهندسين معماريين يصنعون نماذج من فلك نوح كما راينا قساوسة يقرءون نظرية (دارون) في التطور . كما راينا محامين ينشرون الخشب. كما راينا سيدات من خيرة سيدات المجتمع يتحدثن عن الروائي (ابسن) كما راينا احد اصحاب الملايين ينام نوما عميقا فوق ارض المكان كما راينا رساما مشهورا يرسم عربة صغيرة حمراء .

ونظر الي الطبيب المعالج وقال : انك لتبدو قوي البنيــة وخير ما يريحك هو ان تذهب فتلقي بالصخور من اعلى الجبل ثم تعود فترفعها الى حيث كانت ..

وما ان سمعت هــذا القول حتى اسرعت الخطى. فقال: ما الذي انتابك؟

قلت : الذي انتابني هو اني اريد ان اجد طائرة تقلني فــي مثل لمح البصر الى اقرب محطة اركب منها اول قطار ولو كان قطار فحم ليعود بي الى المدينة ..

قال الطبيب : قد تكون على حــق فيما تريد ان تفعل بنفسك ولكني قائل لك انك في اشــد الحاجة الــى الراحة التامة. ولا شيءغير الراحةالتامة

فذهبت من ليلتي تلك الى فنــدق في المدينة وقلت لصاحب الفندق : اني في حاجة شديدة الــى الراحة التامة فهل لي في غرفة يوضع فيها سرير يمكن ان ينطبق على نفسه . وان يجاء لي ببعض الشمندورات ذات الاجراس لاتلهى بها وانا معتكف ؟ وكان رد الفندقي ان نصحني باستشارة احد الاطباء ..

وزارني بعد اسبوع طبيبي الاول واعاد قياس ضغط الــدم دون ان يسقيني خمرا وقال لي : انــك في حاجة الىهواء البحر فيصحبةصديق.

قلت : ايجوز ان يكون هذا الصاحب حورية من حوريات الماء ؟

وكان رد الطبيب ان غير مجــرى الحديث وقال : سأغــدو معــك الى فندق في احدى المدن الساحلية . فلما بلغنا هذا الفندق الفيته باهــظ النفقات فامسكت بدفتر البرقيــات وارسلت برقية لكل واحد من معارفي ليبعث الي بمبلغ من المال استعين به على الخلاص .

ولما عدت الى المدينة وكان الطبيب معي بدأني بقوله : قل لي ــ والشيء بالشيء يذكر ــ كيف انت الان وكيف حالك ؟

قلت : لقد خف عني الكثير مما كان يثقل كاهلي .

ثم ساقتني قدماي الى واحد من الاطباء المستشارين وكان يصحبني طبيبي فسألني الطبيب المستشار : أتحس الما في مؤخر راسك ؟

قلت لا !

ثم امرني ان اغمض عيني وان اضم قدمي الى بعضهما وان اقفــز الى الوراء على قدر ما استطيع ..

ولما كنت بارعا من قبل في القفــز الى الوراء وعينــاي مغمضتان فقد قفزت قفزة جعلت راسي يصطــدم بحافة باب الحمام الذي كان مفتوحا وكان الطبيب قد نسي ان يغلقه .

ثم امرني ان المس انفي باصبعــي الشبابة . فقلت وأين هي ؟ قــال انها في وجهك . قلت : انما اعنــي اصبعي . فنظر فرأى اصبعي وقــد حشرت بين الباب والعارضة فأبدى اسفه معتذرا واخرج اصبعي من ذلك الشق . ثم امرني ان اقفــز حــول الحجرة كما يقفز الجواد وان اظــل كذلك خمس دقائق فاستجبت لامره.

ثم قدم الطبيب المستشــار شبابته وجعلها على بعد ثــلاث بوصات من انفي وقال انظر الى اصبعي فقلت له: يبدو انك تستعمل صابون (بيرس) ولكنه مضى في سبيل اتمام فحصه.

ثم اوصاني بأن احدق في مياه الخليج من خلال اصابعي وكرر هذه الوصية مرات وحجته في ذلك انه يريد ان يفحص عن مخي وكيف يؤدي وظيفته.

ثم عاد يسألني : أكان واحد مــن اجدادي مصابا بالتواء في العمــود الفقــري . او كان واحــد من ابناء عمومتي مصابا بأورام فــي مفصل القدم . ثم خلا الطبيبان بنفسيهما يتشاوران في امر علتي وبقيت فــي مكاني آكل تفاحا . وحدقت النظر في اصبعي اولا ثم نظرت عبر الخليج اخر الامر .

وخرج الطبيبان وعليهما سيما الجد وكتبا قائمة بنظام التغذية الذي سوف اتبعه ولا احيد عن اتباعه قيد انملة . ثم مضيا يقولان : ويأتي فــي المقام الثاني بعد نظام التغذية الالعاب الرياضية والسير في الهواء الطلق..

ثم وصفا لي دواء اتجرعه ..

ثم اخذ كل منا نحن الثلاثة شيئا من الاشياء . اما هما فقد اخذ كل منهما قبعته واما انا فاخذت طريقي الى الخروج .. ثم مضيت الى احد الصيادلة واريته الوصفة فقــال ان الزجاجة من الحجم الصغــير تكلفك ثلاثة دولارات الا قليلا . قلت : هل لك في ان تعطيني قطعة من خيوط اللف فلما فعل خرقــت خرقــا في الورقة التي كتبــت عليهــا الوصفة وامررت الخيط فيهــا وعقدتــه ثم ربطتها حول رقبتي ثــم جعلتها في داخل القميص . وقلت له انك تعرف ان لكل واحد في هذه الدنيا نصيبا من التصديق بالاوهــام . امــا انا فأصدق بالرقي والتعاويذ ..

ثم تذكرت على حين فجأة ان لزاما علي ان أتريض وان اسير رويدا فــي الهواء الطلق . وعملا بهذه الوصية خرجت اتنزه فلقيت ارنبا فجريت وراءه لالحــق به . ومــا ان قطعت عشرين ياردةحتى اختفى ذلك الارنب فجلست على الخضرة وانا ابكي بكاء مرا . وقلت في بكائي : ما دمت قد اصبحت غير قادر عــلى ان امسك بأرنب فلاخير في بقائي فيهذه الدنيا.

وسمعت بكائي واحدة من معارفي فجاءتني تقول : ما بك ايها الاخ ؟

قلت : ان اعصابي قد استرخت قليلا ..

ثم عدت الى حيث اقيم وتغديت وقلت للقوم بعد الغداء : اني لاعلن اني احس ان في قدرتي ان انام عاما او عامين بما فيهما من عطلات رسمية .

ولذلك فقد ساروا بي الى حجــرة كبيرة باردة وكأنها حديقة من حدائق الزهور . وهناك لقيت فراشا وثيرا كأن بطائنه قد صنعت من الحشائش الخضراء ..

وظللت على تلك الحال اسبوعــا كاملا احسست بعد انقضائه بالانزعاج فقد كنت آكل جيدا وانام كما يجب. وقد بدأت فعلا استمتع بالحياة .

وهو ما لا يستطيع ان يفعله رجل في مثل حالي من اليأس . ولذلك فقد انسللت متوجها الى محطة السكة الحديد ، ووجهتي المدينة لكي استشير احسن اطبائها .. فلما بلغتها ذهبت الى عيادة احد الاطباء وقلت للطبيب في لهجة سريعة :

يا سيدي انني اشكو تحجرا في الكبد وتصلبا في الشرايين والتهابا في العصب . وعسرا شديدا في الهضم .

واني لمعتزم ان اتبع نظاما غذائيا دقيقا وسوف آخذ حماما فاترا في الليل وحماما باردا في الصباح . وسوف اعمل على ان اكون مرحا على الدوام وان افكر دائما في كل ما يبهج النفس ..

ثم مضيت اقول : اما الادوية فسوف آخذ حبة من حبات الفوسفور ثلاث مرات في اليوم ومن الافضل ان تؤخذ بعد الطعام ثم اتداوى بادوية مقوية قوامها حبوب الجنطيانة وخشب الكينا وحبات الحبهان . ثم اضيف الى كل ملعقة من هذا المركب قليلا من خلاصة الجوز المقييء متبدئا بنقطة واحدة تزاد كل يوم نقطة اخرى حتى تبلغ الجرعة اقصى مداها .

ثم اخذت قبعتي وخرجت وبعد ان اغلقت الباب تذكرت ان لحديثي بقية ففتحته مرة اخرى والفيت الطبيب لم يتحرك من مكانه ولكني رايته ينظر الي نظرة قلقة فبادرت بقولي : نسيت ان اذكر اني سوف التزم الراحة المطلقة وان اجري على نظام دقيق في الرياضة ..

وبعد ان تمت هذه الاستشارة التي توليت فيها تشخيص العلة ووصف الدواء احسست بنسيم البرد يدب في بدني . وكأن وثوقي بأن علتي لا دواء لها قد ارضاني كل الرضا . والمعروف ان ليس اضر بالمريض باعصابه من ان يحس بالبرد وان يستشعر البهجة ..

ولبثت صديقتي تسري عني . وكذلك قد افادني هواء الجبال والطعام الصحي والنزهة اليومية بين المروج حتى لقد تولاني القنوط واليأس . وليس هذا بعجيب عند مرضى الاعصاب ..

ثم سمعت عن طبيب من اطباء الريف فذهبت للقائه وقصصت عليه قصتي كلها . ولكي اجنبه العناء توليت تشخيص علتي بنفسي فلمست انفي بشبابتي اليمنى . ثم خطبت ما تحت الركبة خبطة جعلت قدمي تهتز اهتزازا شديدا . ثم تسمعت الى صدري ثم اخرجت لساني . ثم سألت الطبيب عن .. قطع الارض التي تبنى عليها الجبانات في ظاهر المدينة .

واشعل الطبيب غليونه وحدق في النظر طويلا وقال : ايها الاخ انك على اسوأ حال . وهناك فرصة للبرء ولكنها فرصة اضيق من سم الخياط .

قلت : وما سوف تكون هذه الفرصة وانا قد استنفدت كل حيلة فتجرعت الاستركنين واملاح الذهب وحبات الفوسفور والجوز المقييء . واخذت الحمامات : باردها وفاترها . وجربت الراحة والتعب والهياج والسكون حتى ليصح لي ان اقول : بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ..

قال الطبيب : يوجد في مكان ما في هذه الجبال التي حولنا عشب مزهر سوف يشفيك من مرضك وهو الدواء الوحيد لكل ما تشكو منه . وهو صنف من الاعشاب قديم قدم الدنيا ولكنه قد بات نادرا في زماننا هذا . وعلي وعليك ان نسعى للظفر به . وانا اليوم لست طبيبا مشتغلا فقد تقدمت بي السن . ولكني سوف اتبنى قضيتك . وسوف يكون لزاما عليك ان تجيئني اصيل كل يوم لتعينني في البحث عن هذا العشب حتى نعثر عليه .

ولا شك ان اطباء المدن يعرفون اشياء كثيرة عن العلاجات التي قررها العلم الحديث ولكنهم لا يعرفون الكثير عن الوان العلاج التي تحملها الطبيعة في خرج تضعه فوق راحلتها ..

ولذلك فقد جعلنا همنا وكدنا ان نفتش عن هذا العشب الذي يشفي الاسقام كلها بين الجبال والوديان . وظللنا نجهد جهدنا مصعدين ومنحدرين وكنا نسير اميالا واميالا على شطئان الغدران التي تحيط بالجبال .. وكنت في خاتمة المطاف اليومي اعود الى بيتي وقد اضناني الجهد فكنت لا استطيع ان اعمل عملا سوى ان اذهب الى سريري فأستلقي ثم اغط في نوم عميق الى ان يتنفس الصبح فاصحو . وظللنا على تلك الحال شهرا كاملا

ثم جاءتني صاحبتي تقول : اني جد مسرورة لان عافيتك قد ردت اليك .

قلت وقد كدت ارتجف : أتعرفين ان فرصة بقائي في هذه الدنيا لا تزال غير باعثة على الطمأنينة ؟ فنظرت الي صاحبتي نظرة ملؤها الدهشة وقالت : بل اني لاراك من اقوى الناس بنية فانت تنام عشر ساعات كل ليلة وانت تبذنا جميعا في مقدار الطعام الذي تأكله . فماذا بعد ذلك تبغي ؟

قلت : الا فاعلمي اني لن ابرأ من علتي الا اذا عثرت على هذا العشب السحري . فقد انبأني الطبيب بذلك وهو لا شك صادق في قوله .

قالت : ومن يكون هذا الطبيب ؟

قلت : هو ذلك الطبيب الشيخ الذي يعيش في بيت يقوم بين الجبال فهل تعرفينه ؟

قلت : اني اعرفه منذ عرفت الكلام . فهل هو الذي يمضي بك كل يوم في هذه الرحلات الطويلة الشاقة ويصعد بك ويجوب ؟

وما ان انتهت من قولها هذا حتى رأينا الطبيب العجوز يجيئنا متمهلا في (دوكاره) العتيق المحطم فلوحت له بيدي ورفعت صوتي بقولي : سأكون طوع اشارتك غداة غد في الموعد المعتاد فوقف حصانه ونادى صاحبتي واسر اليها كلمات . ثم سار في طريقه فلما عدنا الى المنزل قالت الفتاة : ان الطبيب يقول : انه لا يريد ان يلقاك بعد اليوم كمريض فقد ردت اليك العافية ولكن يرحب بأن يلقاك كواحد من الاصدقاء ...

القاهرة مبارك ابراهيم

في الغربة

●

انا على العهد مهما شـت نائينا واوسع الدهر حبل الوصل توهينا
وامعنـت صور الاحداث ضاربة اطنابها لتزيـد الامـر تمكينا
فلا البعاد مزيـل مـا بأنفسنـا ولا التنائي بمـاح بعض مـا فينا
تلك المنازل ذكراهـا يؤرقنـا وذكر ارض الحمـى دوما يعنينا
ارض انيطت بها يومـا تمائمنا وفي الصبا قد اميطت عن تراقينا

* * *

نحن شوقا الى تلك الربـوع كما يحن الف لالـف فاتـه حينا
ونبعث الرسم تخييلا عـسى اثر في الذهن عن رؤية الاعيان يكفينا
حتى الحقيقة ما اشفت لنا غلـلا فكيف اخيلـة تـروي وتشفينا
فلا الجبال جبال النـار نعهدها ولا الاراضي بها شبه لوادينا
ولا الملامح فـي الاشخاص نعرفها كأنما الناس ليسوا مـن اناسينا

* * *

قد كان منا زمان قـل امله واوشكت فيـه ان تـودي امانينا
وظن مـن خانه الايمان ان لنا حظنا غدا وانقضى والتف ماضينا
حتى انجلى غيهب في الافق وانفرجت غمامة اليأس وانجابـت مآسينا
وآنس الناس برقا مطمعا طربـت له النفوس فأولاهـن تيقينـا
وحمـل البرق انباء مباركـة تجـدد البـشر بالبشرى افانينـا
وتبعـث القلب خفاقـا ببهجتـه وبالمسرات تحييـه فيحيينـا
خير النوادي الـذي قد عمه فرح وخير ناد به الافـراح نادينا

* * *

يا هادي الركب مهلا بعد طول سرى وخفف الوطء وامش السير تهوينا
واخشع لمنظر ما نلقـى لروعته وللجلال كفيـض السحر يأتينا
وارهف السمع فالهامات مطرقـة واخفـت الصوت فالداعي ينادينا
الله اكـبر لا نحـصي لـه نعمـا فالحمـد لله رب العـرش بارينا

لندن

حسن الكرمي

من « العروة الوثقى »


بولس غانم

مصير الشعر في هذا العصر

بقلم بولس غانم

***

الشعر فن جميل ، وجماله في عذب موسيقاه وروائع معانيه وتنوع صوره ونغم الفاظه ، لان الالفاظ للاذان كالصور للابصار ، فاذا اسيء انتقاء هذه الالفاظ واهملت في نظمه الاوزان زالت صفته وضاعت تسميته وضعف في النفوس اثره من طرب وشجى وحماس واعجاب ، واستنكرته الاذان فحبست رسالته عن القلوب والنفوس. هو الحياة تبعث الى القلب الوجيب متصلا متناسقا لا قلقا ولا متقطعا ، وهو الموسيقي في وقعه وسلم اوزانه وفي صوره والحانه ، ولا تسيغ الاذن موسيقى لا تعتمد على نغم متناسق ، بل الشعر اعلى مرتبة من الموسيقى والرسم اذحواهما معابايقاع اوزانهورسم معانيه وصوره.

وقد وصل الينا هذا التراث المجيد من الآباء والاجداد، كاملا في اصوله وقواعده واغراضه واوزانه ، معتمدا على سلم موسيقي اعتماد الموسيقى على اصولها وعلاماتهاوافيا بشتى الاغراض ، فالطويل منه والمديد والكامل والبسيط للوصف والحماس والمديح والهجاء ، والخفيف لخفته ، والمنسرح لانسراحه ، والسريع لسرعته يلائم النسيب والغناء فضلا عن المجزوء والمنهوك والمنظور من هذه الاوزان وفضلا عما استحدث فيالاندلس من انواع الموشحات والمخمسات.

فاذا جرد الشعر من اوزانه وقوافيه ضاعت منهروعة موسيقاه وجمال جرسه ونغمه ، واصبح كلاما منثورا ، لا يمت الى الفنون الجميلة بصلة او نسبة .

دعانا الى هذا التمهيد انتشار تلك البدعة البغيضةالتي ابتدعها في اواخر هذا القرن العشرين جماعةمن هواة الشعر، سواء منهم الموهوبون المطبوعون او المتصنعون المتطفلون ، فلقد ذهبت هذه الطائفة الى انتاج نوع من الرطنات ليست بشعر ولا نثر . بل هي مجموعة من الفاظ شاردة لا معنى لها ولا جمال بل حصى ملتقطة من كل شط وعصى مجموعة من كل واد ، تعتمد على الغموض والابهام ويكثر فيها ذكر القمر مشبها بقطعة الجبن في «الوحل» وذكر العينين مشبهة « بالياقوت الاحمر » وذكر الانهار تجري عذبة في الواحات (كذا) الى اخر ما هنالك من التشبيهات المقوتة المبتذلة والكنايات الغامضة بحيث يخيل اليكانك تقرأ لغة اعجمية هي لغة سكان المريخ وزحل نقلتها اليهم صواريخ الجو وسفن الفضاء .

ويزيد النفس اسى والما ان كبار الملحنين والمطربين واصحاب الجرائد والمجلات يزدردون هذه الرطنات طعاما سائغا ويقدمونه على موائد الراديو والتلفزيون وعلى صفحات الجرائد ويمتنعون عن التغني بالشعر الصحيح الجميل او عن نشره في صحفهم ، مما يشجع هذه الفئة على السير في غلوائها ومما يفت في عضد الشعراءالاصلاء ويساعد على القضاء على الشعر الصحيح وعلى نشوء جيل جديد من بلهاء وشعراء العربية ، بعد زوال الاحياء المعاصرين .

ومن الغريب العجيب ان هؤلاء الشعارير لا يكتفون بالعمل على الحط من قيمة الشعر الرصين وعلى محاربة الشعراء الاصائل بل يستعدون الصحافة والراي العام على فطاحل الشعراء كأمثال شوقي ومطران وحافظ والعقاد فيصفون شعرهم « بالعمودي » وبالقديم الرث لتمسكهؤلاء الفطاحل بقواعد اللغةواصول الفن والعروض والمعاني الرائعة الواضحة والاسلوب الجميل الاخاذ ، وهم يعلمون في قرارة نفوسهم انهم انما تنكبوا سبيل آبائهم لعجزهم عن تحصيل القواعد والاصول وجهلهم لعلوم البلاغة والعروض ، والمرء عدو لما يجهل .

وليسمح لي القارىء الكريم ان اسوق اليه مثلا من رطنات هذا الشعر .

قال بعضهم ، عافاه الله ، في القمر :

ماذا يريد القمر ؟ من ازقتنا الضيقة ؟
انه يحبو على ركبتيه المخضبتين بالدم
القمر ... القمر ...
فقد تراكض الصبية الحفاة
ومزقوا باقدامهم
احشاء الطين
وارتعش القمر الابيض كالجبن !
وغاصت اقدامهم في الاوحال

انشودة للامهات

من جمالات الضياء
وابتسامات الوفاء ..
وانسكاب الخير في قلب الحياة !
أبدع الله ... فكانت .. أمهات ! ..

روضة منذ الازل
زرعت غض الامل
وغدت في ثوبها المخفوضر
بهجة الاعصر تلو الاعصر

يا لعذب النغمات
في الصعاب المظلمات
تزدري بالخطب اما وقعا ..
وتريك الليل فجرا اسطعا ! ..

من رآى اندى يد ؟
عبر امس وغد ..
تمسح الجرح فيزهو انفرا
مترعا بالمشتهى ، منتصرا ..

يا نداءات الحنان ! ..
واناشيد الامان
يا صلاة الحب في قلبي وروحي
طاب تحنانك في ليل جروحي

ان تنامي في الظلم
وتهيمي في العدم
وتغيبي عن عيوني الناظرة
فبقلبي انت ، انت الساهرة ! ..

محمد شمس الدين

واذا كان للزجالين او شعراء اللغة العامية عذر في تنكبهم اللغة الفصيحة لسهولة فهم العامية من عامة الشعب، فما عذر هؤلاء المثقفين ؟

ولولا ان هناك خطرا اكيدا على الشعر العربي الاصيل لما تكلفنا عناء هذا البحث ولكن تمادي هذه الطائفة في ضلالها وموقف الحكومات العربية والمغنيين والصحفيين يهدد اللغة في كيانها والشعر الاصيل في اركانه ، فلا بد اذا من التماس الدواء حرصا على هذا التراث الجميل المجيد وتوصلاالى تنشئةجيل جديد من الشعراءالاصلاء.

هناك علاجان حاسمان لهذا الداء : «وقائي وشفائي ».

فاذا امتنعرجال الصحافة عننشر هذه الرطناتواحجم الملحنون والمغنون عن اذاعتها بين الناس امسك هؤلاء الشعارير عن امثال هذه القصائد واقبل الموهوبون منهم على دراسة الشعر الاصيل وقواعده واوزانه فنشأ منهم جيل من الشعراء المجيدين النافعين . واما العلاج الحاسم لهذا الداء فيكون بتبسيط علم العروض وتيسير حفظه على الطلاب وتقرير تعليمه في المدارس الثانوية او في كليات الآداب للزومه وضرورته بعد تبسيطهواستبعاد ما يمكن الاستغناء عنه من الزحافات والعلل والسناد ، لان الشاعر المطبوع يمكنه ان يجتنب في النظم ما لا تستسيغه الاذن على حد ما قال ابن الرشيق في كتابه العمدة : « والشاعر المطبوع مستغن بطبعه عن معرفة الاوزان واسمائها وعللها لنبو ذوقه عن المزاحف منها والمستكره » .

بهذا نحتفظ بالارث الجميل الذي تركه لنا الآباء وبهذا يمكننا تنشئة جيل جديد من الشعراء المجيدين في عصر تسير به البلاد العربية سيرا حثيثا في سبيل نشر التعليم وتعميمه بحيث يتسنى لابناء اللغة العربية ان يرتفعوا الى مستوى شعرائهم فيتذوقوا نتاج قرائحهم ، وبحيث لا يضطر شعراء العروبة الفصحاء الى ان يتدنوا في شعرهم الى مستوى العامة ليفهم هؤلاء اقوالهم .

وهذا الجيل الجديد من الفصحاء آت قريب اذا عرفنا ان نبسط له ونعلمه الاصول والعروض ونشجعه على الانتاج والتاليف ليضع على افواه المغنين ما وضعه المتقدمون والمحدثون على افواه معبد واسحق وابن سزيح في عصور الوليد والرشيد والمامون ولكي ينشر في القرن العشرين من الحكم الرائعة والامثال السائدة امثال ما نشره زهير والمتنبي وابن الوردي في العصور الخالية .

بل اننا نرجو من هذا الجيل الطامح الى التجديد ان يحدث ثورة فكرية جديدة لا تقع على الصياغة والاوزان بل على الاغراض والمواضيع الشعرية التي تلائم روحالعصر كأن ينشىء الروايات الفنائية والملاحم الوطنية التي تخلد ذكريات ابطال العرب واايامهم المشهورة وتعود باللذة والفائدة على ابناء الامة العربية .

القاهرة **بولس غانم**



نقولا يوسف

الشاعرة اليونانية بتروندة باليولوغو

كبيرة شاعرات الاسكندرية اليونانيات المعاصرات

بقلم نقولا يوسف

ما برحت الاسكندرية منذ ان ظهرت في مكانها الراهن – اي منذ ثلاثة وعشرين قرنا – مهبطا لوحي الفنانين وبخاصة الشعراء.. رجالا ونساء .. وطنيين وغرباء .. ووسط تلك الطاقة الزاهرة من الشعراء العرب – المحدثين والقدماء – راينا زهرات مختلفة الاجناس من الشاعرات والشعراء ..

وكان اليونانيون السكندريون ، اكثر تلك الجاليات عددا ، واشدها اندماجا في العرب ، واسرعها تعلما للغة العربية، وانشطها اسهاما في الميادين الاقتصادية والادبية.. وكانت لهم منذ القرن الماضي ، اندية وصحافة ، وانتاج وافر في شتى فروع الثقافة ..

ومنذ مطلع هذا القرن العشرين ، كانت تلمع اسماء من ادباء هذه المدينة اليونانيين .. وكان شيخهم الشاعر « قسطنطين كفافي » ١٨٦٣–١٩٣٣ ، قد ترجم ديوانه الى الانجليزية والفرنسية والايطالية .. وتتأهب اليوم الاوساط الادبية للاحتفال بذكرى مولده المئوية .. وكان منهم الشاعر الناشر : « نيقوس نقولائيدس » المتوفي عام ١٩٥٦ .. والشعراء المعاصرون : « غلافكوس اليثرسيس» المولود عام ١٨٩٧ و « نقـولا فيـلاس » و « جـورج بريسيميزاكيس » و «مارينو سينوروس» ، و «قسطنطين قسطنطينيدس » .. وغيرهم ..

واشتهر من المعاصرات الشاعرتان الكبيرتـان بتروندة باليولوغو ، واليزابيت بساراس .. ثم الشاعرات : ماري ينولي ، واوبي باباستامو ، واماليا نقولائيدس ..

واما كتاب القصة والمقالة والمؤلفـون والباحثـون والمستشرقون منهم ، فكثيرون ، وعـلى راسهم الباحث « اوجين ميخائيليدس » المعروف عند العرب باسم نجيب ميخائيل ساعاتي .. والدكتور موسكوناس ، وكاتبة القصة ماريا روسيا (المتوفية عام ١٩٥٨) ...

والحديث هنا مقصور على كبيـرة هؤلاء الشاعـرات المعاصرات افينيا بتروندة باليولوغو ابنة المرحوم باليولوغو المحامي السكندري ..

وقد ولدت عام ١٩١٨ ، وتوفي والدها وهي طفلة . فادخلت بالقسم الداخلي من مدرسة البنات اليتيمات « بيناكيو » بالاسكندرية ، ثم بالمدرسة اليونانية الثانوية « جمنازيوم » بالشاطي .. ولما اتمت دراستها الثانوية ، ارسلت عام ١٩٣٧ في بعثة تعليمية الـى كلية المعلمات بأثينا « ارتاكيو » وقضت هناك عاما حازت بعـده على شهادة في فن التعليم ، وعادت الى الاسكندرية لتمارس التدريس.. ثم عينت فيما بين ١٩٣٩–١٩٤٤ ناظرة لمدرسة البنات الابتدائية « فامليادس » ثم لمدرسة « افيرون » .

وفي عام ١٩٤٤ انشأت بتروندة مدرسة خاصة للاطفال وللتعليم الابتدائي وسمتها «ليسيه الاسكندرية» فما لبثت ان اصبحت مدرسة نموذجية في نظامها وتعليمها ..

وفي ١٩٥٠ سافرت في بعثة الـى جامعة السوربون بباريس ، وبمعهد التربية والسيكولوجيا هناك .. وعادت لتدير مدرستها على أحدث النظم ..

وفي كل صيف كانت ترحل الى الخارج للدرس والاطلاع على احدث الطرق التربوية .. وزارت لذلك سويسره ، وبلجيكا ، وفرنسا ، وانجلترا ، واميركا ..

وكانت شديدة الاهتمام بمهنتها التعليمية .. كما كان بعض افراد اسرتها من حولها يمارسون معها هذه المهنة.. فكان زوجها مدرسا وزميلا لها في المدرسة الثانوية حيث تعارفا وتحابا ثم تزوجا .. وكان شقيق زوجها معلما ، وزوجة اخيها ناظرة ..

ثم ظلت « بتروندة » تشرف على مدرستها الخاصة هذه ، وتديرها وتعلم فيها مدة ستة عشر عاما .. حتى عام ١٩٦٠ حين دعيت للعمل بمحطة الاذاعـة بقبرص ، ودعي زوجها ، القبرصي الاصل ، للتدريس هناك ، فارتحلا عن الاسكندرية في ذلك العام ، وتركت الشاعرة مدرستها لزميلاتها ، كما تركت بعدها في المدينة التي بادلتها الحب والوفاء ذكريات خالدة ..

ولم تنجب الشاعرة « بتروندة » اطفالا ، ولكنها كانت

الام الرؤوم لتلاميذها وتلميذاتها .. احبتهم جميعا ، وكرست جل حياتها لتعليمهم وتربيتهم ، وتأليف الكتب المدرسية ، ونظم الاناشيد والاغاني لهم .. ولها قصيدة تناجي بها الاهة الحب كي ترزقها طفلا تقر به عينها ! ..

وكانت فيما بين ١٩٣٩–١٩٥٨ قد طبعت في اللغة اليونانية بالاسكندرية ، تسعة دواوين شعرية ، واربعة كتب تربوية ..

وصدر ديوانها الاول عام ١٩٣٩ بعنوان : « قطرات الندى » ، واعقبته بديوان سمته « واغان اخرى » عام ١٩٤١ .. ثم بمجموعتين نشرتا عام ١٩٤٢ احداهما باسم « الخلاص » والاخرى « اغنيات للاطفال » نظمتها لتلاميذها واعيد طبعها عام ١٩٤٨ وبها اغان عن : النيل ، والقطن ، والنخلة ، وطفل عربي ، وقارب الصيد ، والبحر ، والعامل ، والعمل ، والالات ، والصحة ....

وفي ١٩٤٥ نشرت ديوان « نحو النور » .. وفي ١٩٤٦ «الشرق الاوسط» .. وفي ١٩٥٠ «سيمفونية الحب» .. وفي ١٩٥٦ « اهداء » ..

وكان اخر ما طبعته بالاسكندرية عام ١٩٥٨ من مجموعاتها الشعرية التسع ديوانا باسم « نطاق الحب » (او في محيط الحب) ..

واما كتبها التربوية التي وضعتها للمدارس فهي «كتابي»، مطالعة للتلاميذ ، عام ١٩٥٠ .. و « حكاياتي » ١٩٥٤ .. ثم « اسئلة اطفالنا » .. و « اليكن ايتها الامهات » ١٩٥٨

فاذا تصفحنا ديوانها الاخير « نطاق الحب » رأيناها تصدره ببيت من الشعر لشاعر اليونان الاشهر قسطنطين بالاماس المتوفي عام ١٩٤٤ يقول : كل نوع من الحب احببته

ثم نراها تقسم ديوانها هذا الى ستة ابواب ، يدخل من كل منها نوع من الحب .. فمن قصائد الباب الاول : حب ، وحب الى الشعر ، وعلى الارض السلام ، و « انت يا اغنيات اليونان » ..

وتضع للباب الثاني هذا العنوان « اوطاننا ارواحنا » .. وفيه تتغنى بحب مصر ، واليونان ، وقبرص .. وبه قصائد عن : الاسكندرية ، والعرب البدو ، وحاملات الجرار ، فلاحات مصر ، وصور من اليونان ، ومدريد .

وتختص قبرص في كفاحها من اجل الحرية ، بالباب الثالث ، ومن قصائده : الى قبرص في ثورتها ، واغنية الحرية ، وآل قبرص الباسلة ، وشعبها الشهيد ، وافلاس المتمدينين في قبرص ! ..

فقد ثارت الشاعرة لما رأته من قمع الاستعمار الانجليزي للحركة الوطنية بقبرص ، وكفاح الوطنيين بها من اجل الحرية ، ثم اهتزت لانتصار شعبها ، ولزيارة مكاريوس لمصر .. ففاضت شاعريتها ، ونظمت تلك القصائد الرائعة .

ثم باب الحب المتبادل ، وهنا تنشد : الى زوجي ، والى شريك حياتي ، واحبك ايها الطيب !

وفي باب حب الاطفال : الى الطفل ، واطفال صغار ، واغنية الى الام ، وتلامذة .. ومعلمة .. ومدرسة ..

وتختم مجموعتها هذه بعدد من قصائد المحبة والوفاء : محبات قديمة وجديدة ، تهديها الى عدد من الشعراء والكتاب .. فهذه مقطعة تهديها الى شاعر غلافكوس اليثرسيس (الذي اهدى اليها ديوان شعره) .. وهذه ابيات في ذكرى القاص الكبير « نيقوس كازانزاكيس » (يوم اقيم له بالاسكندرية حفل تذكاري عقب وفاته) .. واخرى في ذكرى « ماريه روسيا » (مؤلفة القصص وزميلة الشاعرة في ادارة مدرستها) وغيرها في ذكرى القاص السكندري « نيقوس نقولائيدس » .. والى « ستراتي تسيركا » الكاتب .. والى اخيها المتوفي ...

وهكذا قضت الشاعرة زهرة العمر بالاسكندرية قبل ان تودعها منذ عامين للعمل بمحطة اذاعة قبرص .. وبالاسكندرية اشتغلت بالتربية والتعليم زهاء ثلاثة وعشرين عاما .. وهناك القت المحاضرات في الادب والنقد والتربية وعلم النفس .. وهنا نظمت غرر القصائد في مصر ، والعرب ، وثورة الشعب ، وعن الفلاح والعامل ، وعن مظالم الاستعمار بالشرق .. واهدت احد دواوينها الى الرئيس جمال عبد الناصر وارسل اليها شكره ..

واليوم يرى السائر في « طريق الحرية » بالاسكندرية – وهو شارع « كانوب » البطلمي العتيق – شارعين صغيرين هادئين متقاطعين ، يقعان خلفه يسمى احدهما : « شارع ليبسوس » ، والثاني « شارع زنجاروله » وفي الاول يقوم بيت وضعت على بابه لوحة تقول : « هنا في هذا البيت قضى الشاعر كفافي (١٨٦٣–١٩٣٣) الخمسة والعشرين عاما الاخيرة من حياته » .. وفي الشارع الثاني ترى المدرسة التي اسستها الشاعرة بترونده ، وامضت بها خير سنيها .. كما تواجه المدرسة ، ادارة جريدة « تشيدردموس » اليونانية العتيدة ، وبها مكتب ما زالت تجلس امامه الشاعرة « اليزابيث بساراس » صاحبة الدواوين الاربعة عشرة .. وفي هذين الشارعين اللذين جمعا هذا الثالوث الشعري المجيد ، كانت اقدام الادباء تروح وتغدو ، وتبدو وتختفي على مر السنين .

وها هي بترونده ترنم احدى قصائدها عن «الاسكندرية»:

« اسمك موفور ! يا وطن روحي !
يا عروس الفنون – يا اسكندرية !
ها انت تهبين من سبات السنين ذات المرتقيات والمهابط
وتطلين على البحر بعين اكثر من عين منارتك سطوعا
يا اسكندرية البطالمة ، والرومان ، والبيزنطين ،
يا اسكندرية العرب :
كم سفين تهاوت على شواطئك الرملية !
ومراكب التجار ، وجروم القرصان ..
وتقدمات شكر كثيرة ، كانت تملأ هياكلك
ونساك جياع .. وملوك شباع ..
حكماء ، وفلاسفة ، وهرطوقيون

مؤمنون .. وملحدون :
كانوا عن « حجر الفلاسفة » يبحثون
وشعبك كان كعبة الاههم المجهول ..
وتكر الاجيال .. وتسطع مشاعل الحرية
وها هي ذي طرقاتك ودروبك تضج في عهد « عرابي »
بالتهديد والوعيد .. وبالسفك .. وبالمشانق ..
وسفن القرصان (الانجليز) ترسو في مرفأك ..
وتملأ الفضاء بالبارود ..
وتبدأ المساومة — وتباعين في سوق العبيد
والاصفاد في ساقيك !
وتحن روحك الى الانطلاق
الى ايام آمون ... ايام الاسكندرية !

اسكندرية ! يا وطن روحي !
لطالما حنوت اليك .. احببتك من اعماقي
وكنت اذا ما رحلت عنك ، عدت اليك
في شوق .. وحنين ..
لم تكن المحاسن الصارخة ، محاسنك ..
فلا الجبال ، ولا وعر الوديان ، ولا الغابات ..
ولكنها البساطة في صراطك المستقيم ..
امتداد في استواء .. والافق مكشوف ..
والتحيات الزرقاء (من لون البحر والسماء)
من جارتك — يونان :
يحملها اليك البحر المتوسط
كما تحمل اليك ريح الجنوب قبلة استوائية حارة !

اسكندرية ! يا وطن روحي !
كل ركن فيك له عندي ذكريات !
وكل شارع قصة ، ووقفة في حياتي ..
وفي جوك الثري : نشأت وترعرعت ..
وعرفت الجزع .. والمرارة .. والحلم .. والامل ..
وذقت التعس .. والسعادة ..
والعمل المضني والكفاح ..
فليباركك الله .. اسكندرية !

وتقول « بترونده » في قصيدة بعنوان : « منتظرة » :
على عتبة الليل ، وقفت منتظرة ..
عرفت انك سوف تأتي ..
ولم تكن هناك نجمة واحدة مضيئة
ففي دجى الليل كان يعدو حصان الظلام
يا كم من ظلام كثيف يعشش في نفوسنا ..
واحجار الزاوية للايمان تتداعى في خرائب !

وتنشد في « اغنية حب » :
نتماسك بالايدي في ثبات .. وشفاهنا بلا كلام ...
والعيون تفيض بالفصاحة !
فشيء جديد يتحدث في قلوبنا
في نشوة ملتهبة .. كنشوة السعادة والحلم
السعادة التي لا نتخيلها ..

وفي قصيدة بعنوان « لقاء » تنشد :
رحت اتسلق الطريق الوعر فوق التل ..
في مسيري الى اللقاء الخفي ..
واستحممت في نافورة « كاستاليا » المتدفقة المياه ..
ولبست الثوب الابيض ، ثوب التضحية ..
وفي قلبي يبزغ ضوء ..
وانا اسير في جوف الليل
وصوت المناحة في سيمفونية السكون ، قاص بعيد ..
مسرعة الخطا الى الدعوة الكبرى

وكما تضطرب العصارة في جذور الارض ..
وهي تعد لوليمة الربيع ..
وكما تندفع النطفة لتحمل منها الازهار
هكذا كنت اطير في الطريق الاكيد
وافكار الليل الحزينة .. والاحلام الكابوسية
اختفت عند مطلع الفجر ..
والان وقد التفت خطاي بالانبهار العظيم ،
أصعد المرتقى خفيفة القدمين
وشعري في ايدي الريح
كقارب شراعي يمخر العباب
بشراع مفرد وصارية وحيدة ..
وكان الامر محزوما
فقبل ان ترى ، رأتك عينا روحي ..
ووقع خطاك سمعتها سريعا ..
ولم تكن كما سارت الحكايات ..
وكما اعتادت الجدة ان تقصه علينا في ليالي الشتاء ..
لم تكن اميرا بغرابته ..
ولا محارب القلعة برماحه ..
ولا الشاعر الطواف بقيثاره ..
بل كنت « الرجل » .. وكنت « هو » !
وفي سلام افتتح « قصيدتك » ..
وشعرك يتطاير في الريح ..
مفعما بالضوء .. الضوء الكثير .. وبالشعاع ..
ونظرتك الساحرة توحي بالطمأنينة
.. فاكهة مثمرة آخذة في النضوج ..
وكل معنى للحياة يرى في نظراتك ..
وتضحك فيروق الكون حولك .
الا اهلا بك يا محبوبي .. وسهلا ! !

رمل الاسكندرية — نقولا يوسف

معجم من اطرف المعاجم

بقلم رياض معلوف

* * *



عثرت وانا اراجع بعض المراجع في مكتبتنا على كتيب صغير بحجم الكف استوقفني موضوعه وحثني على الكتابة عنه وهو — المعجم في بقية الاشياء — لابي هلال العسكري ، وعلى ما يظهر ان هذا المعجم نقل عن مخطوط ولم يكن كاملا ، وهذا ما حدا بالاستاذين ابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي وهما من موظفي دار الكتب بالقاهرة الى الوقوف على طبعه وضبطه واكمال ما نقص منه لتعميم فائدته وجعله في متناول من يشاء !

وكما لا يخفى على احد ان ابا هلال العسكري تتلمذ على خاله ابي احمد اسماعيل العسكري ، ونشأ في عسكر مكرم (بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء) في جوار خوزستان وبنسب العسكري هذا الى مكرم بن الحارث بن صعصعة ، وسميت عسكر مكرم على اسمه هو الذي بناها . ويقول ابو الهلال فيها متذكرا ايام صباه :

سقى الله مقرا بقصران مونقا — سحبت به في اللهو اعطاف مئزري
كان سقيط الثلج في جنباته — صفائح كافور على طود عنبر

وكان الصاحب بن عباد يقصده للاستمتاع بمجلسه وادبه ! ولم تعرف سنة ولادته ، ويقال انه مات في العاشر من شعبان سنة ٢٩٥ هـ. وعمر طويلا مما يقارب الثمانين واكثر وخلف العديد من تلامذته ، وزهاء العشرين مؤلفا ومنها ما نشر ومنها ما بقي مخطوطا ، والبعض عبثت به يد الضياع . وهذه مؤلفاته : كتاب جمهرة الامثال ، كتاب معاني الادب ، كتاب التلخيص في اللغة ، كتاب صناعة النظم والنثر ، كتاب من احتكم من الخلفاء الى القضاء ، كتاب التبصرة ، كتاب المحاسن في تفسير القرآن ، في خمسة مجلدات . وكتاب العمدة ، كتاب الكرماء وفضل العطاء على العسر . كتاب ما تلحن فيه الخاصة . كتاب اعلام المعاني في معاني الشعر ، كتاب الاوائل ، كتاب ديوان شعره ، كتاب الفرق بين المعاني ، نوادر الواحد والجمع ، رسالة في العزلة والاستئناس بالوحدة ، الفروق في اللغة ، ديوان المعاني ، الحث على طلب العلم ، والمعجم في بقية الاشياء ، وهو بين يدينا الان اقلبه واتصفحه ، وكل مؤلفاته نفيسة وتدل على سعة اطلاع ودقة بحث وغزارة علم ! ورغم كل هذا كان يندب دائما سوء طالعه وجور الزمن على الادب والادباء مما قاله بذلك :

ارى الدنيا تميل الى اناس — لئام ما لنا فيهم صلاح
بقيت كطائر في قبض باز — جريح الجسم هيض له جناح !

وهو قوله في اواخر حياته راثيا ابيضاض مشيبه :

قد تعاطاك شباب — وتغشاك مشيب
فأتى ما ليس يمضي — ومضى ما لا يؤوب
فتأهب لسقام — ليس يشفيه طبيب
لا توهمه بعيدا — انما الآتي قريب !

وتحول العسكري ، زمنا عن الادب الى السوق وراح يبيع البز للاتجار وكسب العيش ، كما سبقه الى ذلك ابو الفرج الواواء باتجاره بالفاكهة ونصر الخبز ارزي بصناعة الرقاق ، وكما كان السري رفاء يعيش من ثقب الابرة ليستغني عن الناس ، وهكذا كانت تجارة ابي هلال خاسرة ، فخاب ظنه بالحياة والناس فشكا همه وحاله بشعره قائلا :

جلوسي في سوق ابيع واشتري — دليل على ان الانام قرود
ولا خير في قوم يذل كرامهم — ويعظم فيهم نذلهم ويسود
ويهجوهم عني رثاثة كسوتي — هجاء قبيحا ما عليه مزيد

وهذه جولتنا الان للاستمتاع بمفردات — معجم بقية الاشياء — وهز غصون كلماته لتتساقط علينا اثماره الشهية لنتلذذ بها واحدة واحدة وهذا باب الهمزة وفيه الآس ، اي بقية العسل في القفير . وباقي الثمر في اسفل القفة وتسمى الجلة (بالضم) وبقية السمن في الزق . وبقية الرماد ، وسمى العرب الآس المعروف بالسمسق والآسية : هي بقية الدار والمتاع .

الاثر — بقية الشيء جمعه الآثار وهو ما تبقى من رسم الشيء . والاهزع — آخر سهم يبقى في الكنانة رديئا كان او جيدا ، والاهزع هو البقية ايضا من الشحم في سنام البعير .

وجاء في حرف الباء (البزيم) (بفتح الباء وكسر الزين) هو ما بقي من المرق في اسفل القدر من غيرلحم . والبسيل (بفتح الباء وكسر السين) بقية الشراب التي تبيت فيه .

وفي — باب التاء — قيل : التامور : اكلنا (جزرة) فما ابقينا منها تامورا ، ويقال اكل الذئب الشاة فما ابقى منها تامورا ، اي بقية . والجزرة : (بفتح الجيم والزين) هي الشاة السمينة . والتامور المهجة ، والتامورة : الابريق ، والتامور : الخمر، ومعنى التامور بالفارسية (موضع السر) ولذلك سمي وزير الملك تامورا . والتامور صبغ احمر . والتامور : الدم !

وهذا بعض ما جاء في حرف الثاء — الثأوة — القليل من الكثير والثميلة — باقي العلف والطعام ، وما تبقى من الماء في الغدران والوادي والثمالة بذات المعنى ، وقال ابو بكر : كل تعية ثملية (بفتح الثاء) . واما الثمالة (بضم الثاء) فرغوة اللبن ، ويقال لبن مثمل اي قد جمع في الاناء .

ومما جاءفي حرف — الجيم — الجحفة (بالفتح والضم) الماء الباقي في جوانب الحوض (وبالضم) القليل من الثريد

وما يبقى في البئر من الماء . والجرد (بفتح الجيم) بقيـة المال ، وكذلك الجريدة بمعناها .

اما باب (الحاء) فيقال ـ الحاصل ـ بقية كل شيء من الحساب والاعمال ونموها وحاصل الشيء ومحصوله بقيته ، والحصائل : البقايا والحشاشة (بضم الحاء) بقية النفس ، وتطلق الحشاشة على كل بقية .

وهذا ما ورد في حرف ـ الخاء ـ الخشارة (بضم الخاء) ما يبقى على المائدة مما لا يصلح . والخصاصة (بضم الخاء) ما بقي في الكرم بعد قطافه : العنيقيد الصغير هاهنا واخر هاهنا . والخمار (بضم الخاء) بقية السكر والخنشوش (بضم الخاء والشين) بقية من المال ، وامـرأة مخنشة اي فيها بقية من شباب .

ومن غريب ما جاء في فصل ـ الدال ـ الدلس (بفتح الدال واللام) بقية النبت والبقل ، والجمع ادلاس .

وفي ـ الذال ـ قيل الذماء (بفتح الذال والميم) بقية النفس ، وبطء موت ويقال : ان فلانا كباقي الذماء ، اذا طال مرضه ، وكرهه اهله لكبرته ومرضه .

وفي الراء ـ جاء الرسم ـ الاثر وبقيته . والرسيس (بفتح الراء) بقية الهوى في القلب وقال ابو بكر : رس الهوى في قلبه رسا ورسيسا . والرمق بقية النفس وترمق الرجل الماء ، حساه حسوة (بفتح الحاء) ومرمق العيش ، اي ضيقه . ومن غريب الروضة ـ بقية الماء في الغدير والجمع رياض . وقيل الروضة : المكان المعشب وقال الاصمعي : لا تكون روضة حتى يكون فيها ماء .

وفي باب ـ الزين ـ الزهم (بفتح الزين والهـاء) بقية شحم الدابة . ومن قول اهل اللغة : لا يقال (زهم) (بضم الزين وسكون الهاء) الا من شحم النعام او شحم الخيل .

ومن طريف السين : السفر ـ بقية النهار بعد غياب الشمس والسؤر (بضم السين وسكون الهمزة) ما بقي في الاناء من الشراب والسؤدة (بـضم السين وسكـون الهمزة) بقية الشباب .

وفي ـ الفاء ـ يقال الشفافة (بضم الشين وفتح الفاء) باقي الماء من الاناء وجاءت الصبابة (بضم الصاد وفتـح الباء) (في باب الصاد) بمعنى بقية الشراب في الكـاس ويستعار في النوم وقال الشاعر :

ومجود من صبابات الكرى ... واضح السنة عف المكتسب
ماجد الاعراق قد نبهته ... لرحيل آخر الليل فهب !

وتقول في باب الضاد ـ الضرير ـ بقية الجسم ، وبقية النفس . والضمد (بفتح الضاد والميم) الغابر من الحق اي الباقي من دية او دين .

وهذا ما جاء في حرف ـ الطاء ـ الطفئل (بكسر الطاء وسكون الفاء) الماء الكدر الباقي في الحوض ، واحدتـه طفئلة ، وكذلك الطفيل بذات المعنى .

وفي باب الظاء قال ابو هلال : لم يمر بي على الظـاء شيء من ذلك .

اما العين فجاء فيها ـ العصم (بضم العين وسكون الصاد) بقية اثار (الورس والزعفران من النبات اليمني ويصبغ به وجه النساء وتقول المراة للمراة : اعطني عصم حنائك ، اي ما طرح منه ، ومنها اعتصم الرجل بالرجل ، لجأ اليه ، ويقال الغراب الاعصم اذا ظهرت ريشة بيضاء في احد جناحيه . والعلالة (بضم العين) بقية اللبن في الضرع ، وعلالة الشاة بقية لحمها .

والغابر (في باب العين) الباقي على الاشهر ويطلـق على الماضي والغابر من الليل بقيته . والغادر بقية المرض.

والفضلة (بضم الفاء وسكون الضاد) البقية من الشيء.

وفي القاف ، يقال : القرارة (بفتح القاف وفتح الراء) ما يتبقى من المرق اليابس في القدر والقرامة (بضم القاف) بقية الخبز الملتصق بالتنور ، وقيل قرمت الشيء باسناني اي قطعته . والقشام (بضم القاف وفتح الشين) بقيـة كسار الخبز على المائدة والحتامة ما سقط عن المائـدة من الخبز . وفي باب الكاف الكدامة (بضم الكاف وفتـح الدال والميم) بقية الشيء الذي اوكل ، والكرابة (بضم الكاف وفتح الراء) ما يبقى في النخل من الرطب بعدما جرم والكسم (بفتح الكاف وسكون السين) ما يبقى في اليد من الشيء اليابس .

وفي اللام اللعاق (بضم اللام وفتح العين) ما بقي في فمك من طعام لعقته .

والمجلف (بضم الميم وفتح اللام) في باب الميم ـ هـو الذي بقيت منه بقية .

وفي ـ النون ـ الناطل (بفتح النون وكسر الطاء) القفلة تبقى في المكيال ، والنشفة (بضم النون وسكون الشين) قليل الشيء الباقي في الاناء مثل الجرعة .

اما حرف الهاء فورد فيه ، الهشامة (بضم الهاء وفتح الشين) بقية الحطب المنتشر على الارض بعد حمله .

واخيرا يقال في باب الـواو ـ (الولث) (بفتـح الواو وسكون اللام) باقي العجين في الدسيعة ، وفضلة النبيذ في الاناء .

وهذا كل ما وجد في هذا المعجم الفريد من نوعه ولم يعثر ابو هلال العسكري على اكثر من هذا على زعمه . وبذلك كفاية مما وجده المؤلف من الفاظ منها المالوف وغير المالوف ومما يستعمل ولا يستعمل .

وعلى كل ان هذا المعجم في بقية الاشياء يستهوي متطلبي ورائدي آفاق البحث ، واخذت القليل من كثيره للدلالة على الكنوز المخبأة في صفحاته ، والجواهر الباهرة العيون وخالبة العقول هنا وهنالك حيث تتسابق العيون والعقول للاستمتاع بهذه النشوة الفكرية التي انعم علينا بها ابو الهلال العسكري شمل الله مثواه بغيوث رحمتـه على قدر ما اجاد وافاد .

زحلة **رياض معلوف**

تزايد السكان ومشكلة الغذاء

بقلم الدكتور محمد عبد الغني سعودي

مدرس الجغرافية الاقتصادية والسياسية بجامعة بيروت العربية

* * *



هذا الموضوع يعتبر على شيء من الاهمية كبير لانه يعالج مشكلة عالمية تمس بني الانسان في جميع انحاء الارض ، المحظوظ منهم وغير المحظوظ ، فاذا كان مدير منظمة الاغذية والزراعة يصرح بان نصف البشر يعاني من سوء التغذية ، وان منهم ٥٠٠ مليون نسمة لا يعانون من سوء التغذية فحسب بل تنشب فيهم انياب الجوع الحادة فتفترس ما يقرب من العشرين مليونا ، فان معنى هذا اننا امام مشكلة اعمق من مشكلة برلين واخطر من مشكلة كوبا . اننا امام مشكلة الجوع ، ولا نقصد بالجوع المعدة الخاوية ، بل نقصد به ايضا ذلك الجوع المستتر الذي يشل النشاط ويسلب الطاقة لنقص في بعض العناصر الغذائية التي لا غنى عنها ، مع ان اصحابه يشبعون كل يوم .

اذا استفتينا التاريخ منذ اقدم عصوره حتى وقتنا الحاضر ، فلا شك اننا سنجد ان الجوع هو الذي ادى بالانسان الى مطاردة زميله الحيوان ، وادى بالرعاة الذين اجدبت بيئتهم عاما من الاعوام الى الاغارة على زراع السهول الخصبة ، ولا شك ان الجوع كان خير وقود للثورة الفرنسية حين سارت جماعة من نسوة باريس الفقيرات الى دار البرلمان تطالب بالخبز ، ثم انضم اليهن جمع من الرجال وسار الجميع نحو الباستيل فسقط .

ثم اذا قفزنا الى التاريخ المعاصر نجد انهم علمونا فيما علمونا ان من بين اسباب الحرب العالمية الاولى والحرب العالمية الثانية تضخما سكانيا في المانيا وتقلصا سكانيا في فرنسا ، اي نتيجة اختلاف في درجة الضغط السكاني على موارد الثروة .

فما سبب هذا ؟ ان هذه المشكلة الخطيرة التي يعاني منها العالم والتي ينذر باشتداد خطرها وقوة بأسها في المستقبل نفر من العلماء المتخصصين ، ترجع كما يقولون الى نمو السكان او تزايد النوع البشري دون زيادة مماثلة في الانتاج .

لكن نعود فنتساءل ، لِمَ هذه الضجة التي تثار حول الزيادة الانسانية ؟ أليست شيئا طبيعيا ؟ أليست سنة الكون والحياة ؟ ولما تظهر في عالم الانسان وحده ولا تظهر في عوالم الاحياء الاخرى ؟

الواقع ان الانسان يتكاثر شانه في ذلك شان جميع انواع الحياة ، ولكن الذي نلاحظه انه لا يوجد تزاحم مماثل بين الكائنات الاخرى مع مقدرتها على التكاثر بسرعة تزيد كثيرا عن سرعة تكاثر الانسان ، فلو ان بيض الاسماك في المحيط الاطلنطي فقس جميعه ونما لامتلأ المحيط بالاسماك من شاطىء الى شاطىء ومن قاع الى سطح ، والبكتيريا وهي تلك النباتات الوحيدة الخلية مثلا تتكاثر بالانقسام ، فكل خلية بكتيرية تتكاثر بالانقسام الى نصفين ، ثم ينقسم كل منها بعد نموه الى نصفين آخرين فيصبح العدد : ٢، ٤، ٨ ، ثم ١٦ ، وهكذا حتى يصل سكان الارض بعد ٣٢ انقساما ، وهو تكاثر يحدث بسرعة فائقة لدرجة أن البكتيريا الواحدة تستطيع بعد ٥٠ ساعة من الانقسام المستمر ان تغطي سطح الارض بأكمله لارتفاع قدم واحد .

فما الذي يمنع هذا التكاثر ؟ السبب ان الاسماك والبكتيريا لها جميعها اعداء لا حصر لها كالظروف المناخية، نقص الطعام ، والاحياء الاخرى ، ويؤدي هذا العداء الى فناء الكثير من تلك الكائنات .

اذن وماذا عن الانسان ؟ ان الانسان في عهوده الاولى كان شانه شان جميع انواع الحياة الاخرى ينازل الطبيعة والطبيعة تناضله ، يفترس الحيوان ، فلا ينسى الحيوان ان يرد له الجميل جميلين تصرخ معدته الخاوية فيترك كهفه ويضرب في الارض بحثا عما يلهيها عن عوائها ، واذا مرض فكثيرا ما كان المرض يغلبه ، واذا بلى من مرضه وتغلب على حيوان بيئته لم يسترح بل قام بمجازر بشرية ليقضي فيها على نفسه او على اخيه ، فاذا اضفنا الى هذا ارتفاع وفيات الاطفال فلا بد ان هذا الانسان كان على درجة من الخصوبة عالية حتى انه رغم هذا عمَّر وانتشر في الارض ، وقد ايدت الابحاث الانثربولوجية والاثرية هذا القول . فمن الدراسات التي اجريت على حفريات لـ ١٨٧ اوروبيا من سلالة النياندرتال والتي قام بها « فالوا » خرج منها بان ثلث هذا العدد توفي قبل العشرين من عمره ، وان معظم الباقين قد انتقلوا الى جوار ربهم بين العشرين والاربعين ولم يصل الا ١٦ فقط الى الاربعين والخمسين ، فما تمكن فيدنرايخ بفحصه لثمانية وثلاثين آسيويا ان يقدر عمر ٢٢ عند الوفاة، منهم ١٥ توفوا قبل الرابعة عشر وثلاثة بين الخامسة عشر والتاسعة والعشرين ، وثلاثة بين الاربعين والخمسين ، وان واحدا فقط استطاع ان يصل الى الخمسين ، واما اسباب الوفاة فقد شاهد فيدنرايخ ان معظم حفريات انسان العصور الحجرية تدل على نوع من الوفاة عنيف ، مثل الحرب ، صيد الرؤوس ، الوأد ، الامراض ، وغير ذلك ، من ثم لم يكن هناك ازدحام سكاني ، وانما جماعات مبعثرة هنا وهناك حتى ان اعظم الكثافات كانت من البساطة

* محاضرة القيت في جامعة بيروت العربية .

لدرجة انه لا يمكن وضع متوسط لها .

وعندما بدأ يستقر ويعرف الزراعة بدأ يزداد نموه وتزداد كثافته ويقدران معدل المواليد كان يتراوح مابين ٥٠،٣٥ في الالف ، فهذه النسبة لوحظت على الجماعات الزراعية سواء في القرن ١٦ في ايطاليا ، او ١٧ في فرنسا ، او ١٩ في الهند . اما الوفيات فكانت عالية ايضا بين ٤٠،٣٠ في الالف ، ولذلك فالمجتمعات الزراعية زادت فيما يتراوح بين ١٠ ، ١٥ في الالف . هذه الزيادة ليست ضئيلة ولكن كان يخفف منها احيانا دورات نكبات قد تصل فيها الوفيات الى ما يتراوح بين ٥٠٠،٢٠٠ في الالف ، وهذه الدورات كانت تتفق مع الحروب والمجاعات والاوبئة .

وقد اثبتت الابحاث التي قام بها الاب مولز لاوروبا في العصور الوسطى هذه التقديرات وذهب الى ان وفيات الاطفال في الظروف العادية كانت تتراوح بين ٤٠٠،٢٠٠ في الالف ، وجزء كبير كان يموت قبل السابعة من عمره حتى ان جيرمو كاردانو وهو طبيب ايطالي عاش في القرن ١٦ كان يقول انه على استعداد لان يشفي اي مريض على شريطة الا تكون سنه أقل من السابعة او فوق السبعين .

هذه الوفيات في مرحلة الطفولة وما قبل الشباب لا شك كانت تقطع خط الحياة .

ثم تغير الوضع في المجتمع الآلي الصناعي تماما نتيجة التقدم العلمي خاصة في الفنون الطبية والعلاجية . حقيقة لا زال الطب يحبو امام الامراض العضوية الذاتية كالسرطان وامراض القلب ولكن مما لا شك انه استطاع القضاء على الكثير او قلل من حدة الامراض المعدية كالحمى الصفراء ، والملاريا ، والكوليرا ، والتيفوس والامراض السرية ، وذلك بفضل اكتشاف المبيدات الحشرية كال د.د.ت. وبفضل ظهور المضادات الحيوية كمركبات السلفا والبنسلين والعائلة الميسينية وغيرها .

فقد دلت التجارب على ان عملية رش جزر الباسفيك بمسحوق الـ د.د.ت. التي قام بها الجيش الامريكي قبل احتلاله لها ادت الى هبوط نسبة الاصابة بالملاريا، وكذلك كان لـ د.د.ت. اثره الفعال في جزيرة سيلان ، وفي اليونان ، فانخفضت معدلات الوفيات بعامة وانخفضت وفيات الاطفال بخاصة ، مما افسح الفرصة للاطفال لان يصلوا الى سن البلوغ ، وما كان يصل اليه منهم الا القليل ، ولكثير من البالغين لان يصلوا الى الشيخوخة او بمعنى آخر زيادة متوسط الاعمار ، او زيادة امل الحياة .

لاحظ الباحثون ان معدل النمو السكاني اصبح في ارتفاع مستمر وانه يصعد بسرعة لم يعهدها احد في العهود الماضية ، فقد كان هذا المعدل ٧ في الالف في النصف الثاني من القرن ١٩ ، ثم ارتفع الى ٩ في الالف خلال النصف الاول من القرن العشرين ، ثم اصبح اليوم ١٦ في الالف في السنة ، او ما يقدر بنحو ٤٣ مليون نسمة سنويا ، فاذا استمرت هذه الزيادة فان سكان العالم الذين يقتربون من ثلاثة بلايين نسمة قد يصلون الى خمسة بلايين عام ٢٠٠٠ ، فيجب ان نتذكر كل صباح ان هناك ١٢٠ الف فم جديد لم تكن معنا في افطار اليوم السابق .

ان زيادة السكان وحدها لا تعني شيئا ، فقد تستمر دون ان تسبب مشكلة ما لو كانت موارد العالم تكفي لامداد كل فرد بحاجاته .

ذلك هو الانسان ، فماذا عن الارض ؟ يقولون ان ٧٠ ٪ من مساحتها غير صالح لاقامة الانسان لشدة في البرودة كما في جرينلند والقارة القطبية الجنوبية او لانها اراضي صخرية لا يغطيها الا الرقيق من التربة ان وجد ، او لجفاف شديد يستحيل معه النبت . اما الـ ٣٠ ٪ الباقية وتقدر بنحو عشرة بلايين من الافدنة فلا نستغل منها الان الا نحو اربعة فقط ، اي ان نصيب الفرد في العالم اكثر من الفدان بقليل ، بينما يحتاج الفرد الى نحو ٢،٥ فدان لتمده بالحد الادنى من الغذاء بتقدير دكتور بنيت ، وبذلك لا يخص الفرد ما يجب ان يحصل عليه من غذاء .

ولكي تصبح الصورة بانورامية اكثر نرجع لتقديرات هيئة الاغذية والزراعة العالمية فنجدها تقول بانه يلزم لكل فرد بالغ نحو ٣٠٠٠ سعر حراري وهو ما يحتاجه الفرد في اليوم ليحيا حياة نشيطة . ولا يحصل على هذا المقدار سوى ربع سكان العالم في امريكا الشمالية واوربا الغربية والاتحاد السوفياتي واستراليا ونيوزيلند وارجنتين واورجواي . واما اكثر سكان جنوب اوربا وامريكا الجنوبية والشرق العربي ومعظم افريقية وهم يمثلون نحو ربع آخر فيحصلون على ما يزيد قليلا عن ٢٢٥٠ سعرا . واما معظم سكان آسيا ويمثلون اكثر من نصف سكان العالم فلا يصلون حتى الى هذا المستوى اذ تتناول الملايين منهم اقل من ١٧٠٠ سعر .

معنى هذا ان انتاج الارض الحالية لا يكفي ما عليها ، وانه يجب ان يزداد لمواجهة الافواه الجديدة كل عام من ناحية ، ثم يزيد مرة اخرى اذا تطلعنا الى الاخذ بيد ثلاثة ارباع البشر الذين يستوي لديهم الوجود والعدم .

حقا لقد ازدادت الكمية المنتجة من الغذاء في العالم باسره بمقدار يتراوح بين ١٠٪ و ١٥٪ خلال السنوات الاربعين التي سبقت بداية الحرب العالمية الثانية ، غير ان الزيادة السكانية بلغت ٣٠٪ في نفس تلك الفترة ، وكان للحرب العالمية الثانية اثرها الواضح في نقص كميات الغذاء المنتجة حتى ان مستوى الانتاج الغذائي قبل الحرب لم يصل اليه العالم الا بعد انقضاء ١٣ عاما من انتهاء تلك الحرب .

من ثم دقت طبول الخطر ورنت اجراس الحذر باننا

نسير من سيء الى اسوأ ، لان السكان يزيدون بمعدل اسرع من معدل زيادة انتاج الارض .

والواقع ان هذا الناقوس سبق سماعه منذ اكثر من قرن ونصف على يد القس الانجليزي مالتوس حين ذكر ان السكان يتزايدون بمتوالية هندسية اي بالتضاعف بالضرب في ٢ (٢،٤،٨،١٦) بينما الغذاء يتزايد بمتوالية عددية (٢،٤،٦،٨) اي باضافة ٢ . وشتان بين التضاعف والاضافة ، فالتضاعف يؤدي الى زيادة بسرعة اكبر من زيادة الاضافة . وحذر بأن الطعام لن يكفي مهما ضاعفنا انتاجه الا اذا توقف التضاعف البشري، غير ان هذا التضاعف العددي يبطيء احيانا نتيجة للحروب والاوبئة والمجاعات لذلك فهذه الشرور الانسانية هي المصيدة التي تطبق على الزائد من السكان بين الحين والحين ، حتى يتم التوازن بين السكان والانتاج . وكان من رايه انه لابد من استعمال الموانع الصناعية والاخلاقية اي التعفف وتأخير الزواج . ويذهب بعيدا الى ان اي تنظيمات خيرية تبذل لمساعدة الفقراء تزيد من عددهم لانها تخمد في نفوسهم الشعور بالمسؤولية .

ولعل ما جاء من نقد الى مالتوس في اول الامر انه كان متحاملا على الفقراء الى حد كبير ، حتى ان البعض يعيب على هذه المصيدة المالتوسية بانه يوحي بموقف ذلك الرجل الذي يقول لرفاقه على السفينة «هناك رجل يزيد عن العدد بيننا ، ويشعر الاكثر ضعفا بانه هدف هذا الكلام» .

وقد تعرض مالتوس للنقد المرير خاصة وان الظروف في تلك الفترة والتي اعقبتها لم تساعد على انتشار مذهبه بل احبطت فكرته . ذلك انه لم يعمل حسابا لمساحات شاسعة خالية او شبه خالية في الامريكيتين واستراليا ، فعندما بدات اوربا في الازدحام ، امتصت هذه العوالم الجديدة ذلك الفائض وكانت تقول هل من مزيد ؟ ثم ظهر انقلاب صناعي قلب الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية وبدلهم من بعد عسرهم يسرا ، ومكنتهم من ان يعدنوا فقط او ينسجوا فقط ثروة في النقل تأخذ ما صنعت ايديهم وتأتيهم بطيب عيش منوع من اراضي بعيدة .

هكذا اسدل على نظريته ستار نسيان كثيف حتى بدا الكثيرون اليوم يعيدونها الى الاذهان ويباركون ذكراه امثال جوليان هكسلي عالم الاحياء الكبير واول مدير لمنظمة الاغذية والزراعة ، ويجاريه نفر غير قليل من العلماء .

غير ان هذا الراي قد واجه معارضة الكثيرين ، وعلى راسهم سير جون رسل كبير علماء الزراعة البريطانيين ، فرغم انهم لاينكرون حدة ازمة الطعام ففي رايهم انه لن تحدث مجاعة في المستقبل لان الجوع يمكن تلافيه ، فالى جانب الانفجار السكاني المتوقع ، في نظر هؤلاء فان هناك انفجارا فنيا . فنحن نعيش في عصر مزيد من العلم والمعرفة . وانه من الممكن زيادة الانتاج ، لاننا لا نستغل من وجه الارض الان اكثر من ثلث الواجب زراعته فاذا اكملنا عملية الاستغلال فان ارضنا تطيق من البشر ثلاثة امثال ما عليها .

بل لقد قال احدهم انه يمكن للعالم في حالة استغلال الاراضي القابلة للزراعة بنفس الخبرة والعناية التي تستغل بها الاراضي في هولندا . وفي حالة انتشار المستوى الاستهلاكي الحالي للمواد الغذائية فيمكن لارضنا ان تفي بالحاجات الغذائية لعدد من السكان يتراوح بين ١٠ — ١٥ مليار بدلا من الثلاث مليارات الحالية .

ثم ان الانسان مبذر متلاف ، وبذلك يفقد الكثير من الغذاء الذي بين يديه، فهو اول كائن حي لاياكل جميع اجزاء النبات . فنحن لا ناكل جميع اجزاء نبات القمح مثلا ، ناكل الحبوب ونترك سوقها . بل وتصل الرفاهية في معظم الاحوال الى اكل لب الحبة ورمي القشور ، رغم ان علماء التغذية ينادون بأعلى اصواتهم ان استعملوا الطحين لبا وقشورا فهذا اجدى لكم وانفع . بل وتختلف الشعوب فيما بينها في تفضيل جزء من النبات عن الاخر ، فشعب السودان مثلا ياكل ورقة اللوبية ، ويقدم حبوبها للحيوان . بينما في جهات اخرى يستهلك الانسان الحبوب ويقدم الاوراق للحيوان . وقد دلت الاحصاءات على اننا بهذه الطريقة لانستهلك سوى ٢٠ ٪ فقط من اجزاء النبات كطعام .

والانسان مبذر ايضا لانه يقدم نحو نصف المحصول للحيوانات الداجنة ليحصل على بيض ولبن ولحم شهي ولكن الحيوان يتقاضى ضريبته الباهظة فاذا اخذ ١٠٠ وحدة استهلك منها ٩٠ ولم يعطنا سوى ١٠ وحدات !!

ثم ان الله عندما خلق الخلق لم يجعله خالصا للانسان وحيوانه الداجن، بل خلق ايضا ملايين وملايين من الكائنات التي تنتمي الى هذه الارض كما ينتمي اليها بنو الانسان، ونحن نتناسى ان السكان الذين ستوعبهم العالم ليسوا مجرد سلالات بشرية وحيوانات مستأنسة، بل ان العالم مليء بالطيور والحشرات وملايين الكائنات الاخرى التي نطلق عليها آفات اذا ما سببت لنا حرجا ، فالجراد في الاوراق الخضراء يعمل كقاطع الاسلاك ، وحشرة التفاح تحفر في التفاحة كالمقدح (البريمة) والديدان تمتص من النبات الغذاء كما تمتص المكانس الكهربائية اتربة الهواء . هذه الضيوف البغيضة المكروهة التي تاتي دون دعوة منا تلتهم بدورها نحو ثلث طعامنا ، لذلك لا يبقى من محصول الارض الا ما يكاد يكفي سكانها الحاليين بالمستويات الغذائية التي ذكرناها .

ومنهم من يقول لجموا الانهار ولا تتركوها على اعنتها تسير وفق هواها تفيض في وقت ليس للزرع حاجة الى مائها وتغيض في آخر يكون النبت في حاجة الى قطرة مما ذهب الى البحر سدى .

ومنهم من يقول ان البحار والمحيطات تغطي سبعة

اعشار سطح الكرة ، فاحرثوا في البحر فنقول لهم وكيف نحرث في الماء فيقول انكم تقومون بصيد الاسماك التي من السهل الوصول اليها . ولكن هناك الى جانب ذلك اغوار المحيطات العميقة التي تعرفون عنها قدر ما تعرفون من وجه القمر ، احرثوا قاع البحار بالغواصات فتطفو على سطح الماء مواد غذائية مكدسة فتستطيع الاسماك الحصول على غذاء كاف فتتكاثر وتزيدكما وكيفا ، سمدوا البحار بالاغذية التي تحبها وتعشقها الاحياء الدقيقة التي تعيش عليها الاسماك عندئذ ستجدون من اللحم الطري الشيء الوفير .

ومنهم من يقول ومعادن القشرة الارضية وطاقتها لا زال الكثير منها ينتظر الاستغلال .

هذا هو الراي الثاني ، غير اننا يجب ان نلاحظ آراء الاقتصاديين في هذا المجال ، فهناك فرق في رأيهم بين امكان استخدام نوع معين من الارض في الزراعة وبين استخدامها الفعلي ، فعلى سبيل المثال قد يقال انه يمكن زراعة الصحراء وجعلها تعج بالنبات ولكن قد يكون هذا غير صحيح من الناحية الاقتصادية ، فقد تكون تكلفة المشروع باهظة لدرجة تمنع تنفيذه ، وفي المعادن يجب ان نفرق بين الوجود المطلق للمعدن وبين الوجود النسبي له ، وكثيرا ما تؤدي دراسات الجيولوجيين الى حقائق غريبة غاية في الغرابة من الناحية الاقتصادية ، فمعدن النيكل مثلا انتاج العالم منه قليل بالنسبة للمعادن الاخرى ، ولا يستخرج الا بمقادير قليلة وفي مناطق معينة من الارض ، فكندا وحدها تنتج ٨٠ ٪ من انتاج العالم ، ومع ذلك فهذا المعدن النادر نسبيا نجد انه في صخور القشرة يبلغ ضعف مقدار النحاس وخمسة امثال الزنك وعشرة امثال الرصاص ونحو مائة مثل من القصدير . لذلك كان الفرق واسعا بين مجرد الوجود الجيولوجي للمعدن وسهولة الحصول عليه اقتصاديا .

وفي ميدان الحشرات تعمل منظمة الاغذية والزراعة وكل دولة جهدها ، ومع ذلك تستهلك هذه الحشرات في الولايات المتحدة الامريكية التي بلغت قمة في التقدم الفني الحشري ما قيمته بليون دولار سنويا .

وفي تفضيل هذا الجزء من النبات او ذاك نجده قد ارتبط عند الشعوب بالعادات الغذائية المنتشرة في المنطقة التي يعيشون فيها ، وليس من السهل ان تغير في اذواق الطعام ، فمن السهل ان يتغير ذوق اللباس لانه يتوقف على حكم المجتمع الذي تعيش فيه ، ولكن الطعام يتوقف على حكم النفس واللسان ، فهما عسكري المرور الذي يشير الى امكان ابتلاع هذا ولفظ ذاك .

ماذا لو قلنا خففوا من استهلاك اللحوم وعليكم بالنبات فكل لحم حشيش كما ورد في الانجيل ، ثم ماذا لو قلنا لا تتركوا سوق القمح فان التبن فيه غذاء لكم وعليكم بمشاركة الحيوان في البرسيم وبقية الاعلاف الاخرى .

على العموم قد وضعت هذه التحذيرات لا من باب عدم الايمان بالتقدم العلمي بقدر ما هي من باب الحيطة عند التطبيق العملي .

ولنفرض جدلا ان هذه الامكانات ميسورة المنال سهلة التحقيق ، سنجد ان هناك من الامور ما يستحق النظر مرة اخرى ، فكثير من الكتاب الديموغرافيين (علماء السكان) حين يعالجون مشكلة الغذاء ، يعالجونها على اساس وجود علاقة توازنية بين المنتجات الزراعية في العالم وبين سكانه ، اي يفكرون على مستوى عالمي . وهذا النوع من التفكير يدل على التفاؤل المفرط ، فيحق للمرء ان يشعر بالسعادة والسرور حينما يزيد انتاج القمح في العالم بمعدل اسرع من معدل زيادة السكان ، ولكن ليس في ذلك حل للمشكلة التي تواجهنا فليست هناك حكومة عالمية ، وليس هناك مخزن عالمي يتجمع فيه المحصول ، فتقوم الحكومة العالمية بتوزيعه حسب الاحتياجات ، بل ان خريطة العالم السياسية تعددت الوانها وتضاربت واصبحت اشبه شيء بلوحة من الفسيفساء ، من الاتحاد السوفييتي الذي تربو مساحته على ٨،٥ مليون ميل مربع الى امارة ليشتنشيتين التي لا تزيد مساحتها على ٦٠ ميلا مربعا ، وسان مارينو التي تصل بالكاد الى ٣٨ ميلا مربعا . وحتى حبيبات هذا الفسيفساء عرضة للتغير بحيث يمكن للحبيبة ان تتمدد وتنكمش ويصيبها انقسام حسب الظروف السياسية .

ونتيجة لهذا اصبح المتوسط العام لما يخص الفرد في العالم وهو اكثر من الفدان بقليل ، اصبح غير ذي موضوع . واما الاقرب الى الحقيقة فقد قام به السير جون رسل حيث قسم اقطار العالم الى الاقسام الاتية :

١ ــ اقطار يخص الفرد فيها اكثر من ٢،٥ فدان تشمل الامريكتين واستراليا وشرق اوروبا فيما عدا الاتحاد السوفييتي ، وهي في بحبوحة من عيشها .

٢ ــ اقطار يخص الفرد فيها من ١ الى ٢،٥ فدان وتشمل غرب اوروبا ووسطها وهذه الاقطار تكفي نفسها بنفسها من الغذاء بنسبة ٨٠ ٪ .

٣ ــ اقطار يخص الفرد فيها اقل من فدان وتشمل بلجيكا وسويسرا وبريطانيا ، وهذه الاقطار مستوردة للطعام اعتمادا على صناعاتها .

٤ ــ اقطار يخص الفرد فيها اقل من الفدان وهي الهند والصين واليابان وجنوب شرق آسيا بعامة ، والجمهورية العربية المتحدة . وهذه المجموعة الرابعة باستثناء الجمهورية العربية المتحدة استبعدت اللحم من غذائها او قلت منه وبذلك امكن للفرد ان يعيش في الهند على ٠،٨ من الفدان وفي الصين على نصف فدان .

ليس ادل على التناقض الغذائي الدولي من ان الولايات المتحدة ظل بها فائض كبير عن حاجة سكانها من القمح والذرة ، والبيض ، والزبد ، واللبن ، والجبن ،

دولار سنويا ، ووضعت المشروعات لشراء هذا الفائض ولتخزينه في مخازن وصوامع هائلة وشجعت المزارعين ماليا للاقلال من الزراعة حتى يمكن انتاج المحاصيل بالقدر اللازم للاستهلاك ولا تنخفض اسعارها نتيجة زيادة العرض على الطلب . وهكذا ظلت الحكومة تشتري الفائض حتى اصبحت المخازن والصوامع لا تكفي لتخزينه فبدات تستغل المدرعات والسفن الحربية في التخزين ، كما دب الفساد الى جزء كبير منه . ثم أتت الحرب العالمية الثانية، وحلت المشكلة لحاجة الجيوش الى الغذاء ، ولكن ما ان طويت صفحة الحرب العالمية حتى عادت المشكلة تطل برأسها من جديد ، فوزعت منها اعانات للبلاد التي خربتها الحرب وبدات تتخذ في تصريف هذا الفائض اكثر من اتجاه.

منها بيع الفائض للدول الاخرى وتسديد الثمن بعملاتها المحلية او بالدولار ، فاذا تم التسديد بالعملات المحلية فان الثمن ينفق في نفس القطر لمواجهة مصروفات السفارة فيه ، ومشروعات التبادل الثقافي وغيرها ، واذا تم بالدولار يقسط على ٢٠ عاما واحيانا يتم البيع بالمقايضة بالمعادن والخامات اي تتقاضى الثمن باي شكل من الاشكال.

واتجاه ثان وهو المعونة في حالة الكوارث كالزلازل او القحط الفجائي في عام من الاعوام ، وهذه حالات وقتية. والاتجاه الثالث وهو الهبات السنوية وقد تمت الهبات منذ ٢٠ عاما لاسباب سياسية ، سواء تمثلت في مشروع مارشال أو المساعدات الامريكية لشان كاي شيك ، الامر الذي يعني انه لم توجد ختى يومنا هذا هبات بالمعنى الحقيقي للكلمة وحتى هذه الهبات بدأت بعض الدول تعارض قبولها لانها استهلاكية وليست انتاجية فهي لا تأخذ بيدهم لتساعدهم على ان يقفوا وحدهم ، بل تعطيهم سمكة لتخلصهم من الجوع يوما ولكنها لا تعطيهم شبكة تخلصهم من الجوع طوال حياتهم .

وحتى البنك الدولي للانشاء والتعمير الذي يمكن ان تقترض منه الدول النامية لتطوير انتاجها ، كان ينحرف احيانا عن الطريق القويم ويقع تحت تأثير الولايات المتحدة وليس رفضه لتمويل السد العالي ، وما تبعه من تأميم لشركة قناة السويس عام ١٩٥٦ ببعيد .

وهنا اطرح مقارنة طريفة بين حالة الفرد في الهند وحالة زميله بالولايات المتحدة :

	الهند	الولايات المتحدة
الغذاء : عدد السعرات الحرارية المستهلكة بالنسبة للفرد	١٨٠٠	٣٢٠٠
عدد الحجرات لكل ١٠ اشخاص	٢	١٠
عدد الاطباء لكل ١٠٠ الف	٢٠	١٢٠
النسبة المئوية للمتعلمين فوق ١٠ سنوات	١٨	١٠٠
عدد الطلبة الملتحقين بالتعليم العالي لكل ١٠ آلاف من السكان	١٢	١٥٠
عدد نسخ الصحف التي تطبع يوميا لكل الف شخص	٨	٣٤٠
عدد اجهزة الراديو لكل الف شخص	٢	٧٥٠
السيارات لكل مئة شخص	١	٣٩٠

فقد يزيد الانتاج في الولايات المتحدة او اوستراليا بمقدار ٥ ٪ او ٦ ٪ ، الا ان هذا الانتاج الاضافي لا يكون ذا فائدة كبيرة لسكان العالم في مناطق اخرى مثل الهند أو الصين او اندونيسيا ، الا اذا استطاع سكان هذه الدول الاخيرة ان يبادلوا هذه المنتجات الزراعية بما عندهم من فائض في الانتاج . ويشترط في هذا الفائض ان كان هناك ان تكون الولايات المتحدة واستراليا في حاجة اليه، وما لم تتوفر هذه السلع المطلوبة فمن الصعب الحصول على المواد الغذائية ، وكلنا يعرف ان فائض هذه الدول النامية ضئيل .

المشكلة اذن ليست في ان العالم يستطيع ان ينتج الطعام الكافي للعدد المتزايد ، ولكن المشكلة تظهر فيما اذا كانت الهند واندونيسيا تستطيع ان تستبدل ما تحتاجه بمنتجاتها ، هذا هو الوضع الصحيح للمشكلة . ويزيد من حدة المشكلة عاملان ، اولهما التوزيع غير المتساوي للسكان على سطح الارض بحيث يتجمع نصف اولاد آدم في شرق آسيا وجنوبها : خلية نحل في ١/٢٠ من ساحة اليابس ، بينما هناك مناطق تعاني تخلخلا سكانيا مع وفرة ارضها كما في كندا والبرازيل واستراليا وغيرها ، بحيث يمكن ان تعول عددا اكبر من السكان دون خفض لمستوى معيشتهم . كما ان هناك مناطق اخرى يمكن ان يرتفع مستوى معيشتها بزيادة سكانها ، ومع ذلك لا يستجيب السكان لما في ايديهم من موارد .

وهكذا نجد الناس فريقين : قلة لها من الغذاء نصيب الفيل ، وكثرة لها من الغذاء القدر الضئيل .

اما العامل الثاني فهو عدم التكافؤ في الزيادة السكانية. فأقل الناس زيادة في الوقت الحاضر يملكون من الارض ومن الموارد اكثر مما هم بحاجة اليه في الحاضر والمستقبل، فالاوروبيون يزيدون ولكن زيادتهم لا تعد شيئا . فان الزيادة الطبيعية لمعظم البلاد الاوربية كما يقول الدكتور نوتشتين ستنخفض في العشرين عاما المقبلة بسبب كبر السن وما يؤدي اليه من قلة في المواليد ، وزيادة في الوفيات . على عكس سكان الهند او الصين او اندونيسيا فانهم يزيدون دون نظر الى ما بين ايديهم من موارد ، فنمو السكان في الدول النامية يسير بدرجة عالية لان التقدم الطبي الذي وصل اليه الغرب بعد محاولات من التجربة والخطأ استمرت لمدة قرنين ، قدم الى هذه الشعوب مباشرة فانخفضت الوفيات بمعدل اسرع منه في غرب اوروبا ، فبعد القضاء على الملاريا في سيلان انخفضت الوفيات من ٢٢ في الالف الى ١٢ في الالف في ٧ سنوات من ١٩٤٥ الى ١٩٥٢ . هذا المعدل في الهبوط استغرق من بريطانيا ٧٠ عاما ، في جزر موريشس

كان هناك هبوط من ٢٧ في الالف الى ١٥ في الالف استغرق ٧ سنوات بينما استغرق هذا الهبوط في بريطانيا مئة عام . ولم يكن هذا الانخفاض السريع في الوفيات مصحوبا بانخفاض في المواليد ، ومن هنا كانت الزيادة عالية في تلك المناطق بحيث تصل الى ٢٥ في الالف .

اذن كيف تحل الدول النامية مشكلاتها السكانية ، واقول مشكلاتها وليست مشكلتها لانها في الحقيقة تطوى بين ضلوعها مشكلات اجتماعية واقتصادية وسياسية ؟ كيف تحل مشكلاتها في اطارها الاقليمي ، لا في الاطار العالمي ؟ كيف تلحق الزيادة الانتاجية اكسبريس الزيادة السكانية السريع ؟

يا ترى فلاحة الارض فيها على الطريقة الهولندية ؟ ان هذه الطريقة تستلزم وجود آلات زراعية معينة، وحتى هذه الآلات الزراعية لا يمكن استعمالها في الهند والصين لوجود اعداد ضخمة من السكان في ظل الوضع الحالي لا تجد عملا . فما بالك بعد ادخال الآلات الزراعية ؟ ستزداد الامور لا شك تعقيدا . تتضمن هذه الطريقة ايضا قسطا من المعرفة الفنية والخبرة عند المزارع ، وهذا يقتضي تدريب المزارعين الهنود والصينيين . ولكن كم من الوقت يمر قبل ان يتشربوا هذه النظم الجديدة ؟ كم من الوقت يمر قبل ان تصل الى النتائج المرجوة ؟ كما ان المزارع الامي الذي تقدمت به السن سيعجز دون شك عن هضم هذه المعارف الجديدة . قد يتحقق هذا ولكن في المدى الطويل ، فهذه التقديرات تتجاهل مفهوم الزمن او تتناساه ، تنسى ان الصين تزيد كل عام ١٥ مليونا ، وان الهند تزيد كل عام ٥ ملايين وانه اذا كان في الامكان زيادة الانتاج الزراعي فيجب ان يكون فورا لان كل عام يزيد المشكلة تعقيدا .

اذن فلنرجع الى اوروبا ، ماذا فعلت عندما بدأت تحس بضغوط سكانية ملحة في بعض اطرافها ؟ سنجد انها استجابت بالتصنيع وبالهجرة .

والواقع ان التصنيع قد يقلب الاوضاع السكانية فبدلا من ان تكون الدولة قبل التصنيع مزدحمة بالسكان نجدها بعد التصنيع قد تكون في حاجة الى ايد جديدة ، فالصناعة احد المخارج الرئيسية من المصيدة المالتوسية ، لانها ستتشرب الفائض من سكان الارض الزراعية . وكان هذا من العوامل التي هربت بها اوربا من هذه المصيدة .

الا انه في الدول النامية تظهر بعض عقبات في وجه التصنيع على نطاق كبير ، منها ضعف السوق الداخلي لانه لا يستطيع ان يستوعب كميات كبيرة من السلع لضعف القوة الشرائية بين السكان لان هذه الشعوب بحكم هبوط دخلها النقدي لن تستطيع ان تنفق الا قدرا بسيطا من هذا الدخل على شراء المنتجات المصنوعة ، فالجزء الاكبر منه يتجه للمأكل والمشرب والمسكن أي الى المطالب الضرورية للمعيشة وان تبقى شيء ، فللمصنوعات الضرورية مثل الملابس . أما الاسواق الخارجية فنجد ان الدول الصناعية القديمة قد اكتسبت معظمها ، ثم هناك عقبة ثالثة وهي نقص راس المال المستثمر ، فالهند وهي اكثر الدول اكتنازا للذهب والفضة لا تزال فيها وسائل الاستثمار قليلة ، قد يقال ان الدولة يمكن ان تعتمد على الادخار الداخلي كما هو الحال في صناديق التوفير . ولكن مهما قيل في هذا المجال فانه لا يتعدى ١ ٪ او ٢ ٪ من الدخل القومي ، كذلك الحال في الشركات الوطنية المساهمة التي تعرض اسهمها في السوق فالتقديرات لا تزيد هذا المورد باكثر من ٤ ٪ بينما يقدر الاقتصاديون انه لا بد من زيادة راس المال المستثمر في العمليات الانتاجية الى ١٥ ٪ من الدخل القومي . ولذلك كان لا بد من استيراد رؤوس الاموال الاجنبية على ان رأس المال الاجنبي غالبا ما يكون مصحوبا بنفوذ سياسي ، لذلك اتجهت اكثر الدول الاسيوية والافريقية ودول امريكا الجنوبية الى الاقتراض من البنك الدولي . ومع ذلك فرغم الجهود الضخمة التي تقوم بها الهند او الصين في ميدان الصناعة فانها لا تحس لها اثرا كبيرا بل تضيع في زحمة السكان ، في زحمة نساء خصوبتهن فاقت خصوبة الارض . ليس معنى هذا انها لا يجب ان تتجه الى التصنيع او انه عديم الفائدة ولكن معنى هذا كلما زاد اكتظاظ السكان قل اثره واحتاج من عمر الزمن الى فترة اطول .

ان سياسة تقوم على تهجير بعض سكان آسيا تهجيرا مصحوبا بمعونة مالية ومدروسة دراسة عميقة الى بعض البلاد القليلة السكان لذات اثر عميق في الاحوال الاقتصادية للبلاد التي سيهاجرون منها والبلاد التي سيهاجرون اليها . ولسنا ندعي ان الهجرة التي يوضع لها نظام مدروس من البلاد المكتظة الى البلاد المخلخلة ستقضي على جميع المشكلات السكانية في الصين او الهند او اليابان . ولكن التهجير سيعمل على ظهور اثر الجهود الزراعية والصناعية وما يصحبه من ارتفاع لمستوى المعيشة . فاذا ارتفع الشعب الى مستوى معين فهناك رغبة في التمسك بهذا المستوى ، والارتفاع به ان امكن . ولكن لم يحدث ان كانت هناك رغبة لدى الافراد او المجتمعات في الانحطاط بمستواهم ، ستنخفض معدلات المواليد بدورها تلقائيا وتبدأ هذه المناطق تمر بالدور السكاني الذي مرت به دول غرب أوروبا .

ثم هناك عامل اخر لا يمكن اغفاله وهو ان معظم المهاجرين ليسوا من العجزة المسنين ولا من الاطفال ، ولكنهم في الغالب من الشباب ذوي الاخصاب القادرين على الانجاب ، ومن هنا كان لا بد من نقص في مواليد الوطن الام كلما هاجر منها عدد من الشباب .

وحتى اذا لم ينجح التهجير في حل مشكلات السكان فانه على اقل تقدير سيخفف حدة التوتر السكاني في آسيا وقد يبعد احتمال قيام حرب ثالثة كلما شعرت هذه

الشعوب ان هناك مناطق قريبة منها تخضع لشعوب ليست في حاجة اليها ، بل عاجزة عن استثمارها على وجه امل.

ولئن تعترض في وقتنا الحاضر قوانين الهجرة المختلفة التي سنتها الدول ، فاذا كانت الهجرات الجماعية في الماضي قد حلت من مشكلة اوربا الا ان أمريكا لم تعد غابة مفتوحة امام كل قادم فبعد ان كانت تسير طبقا لما هو منقوش على تمثال الحرية في نيويورك مخاطبة اوربا « الي بالمتعب والفقير وبالجماعات المضطهدة التي تنشد الحرية ، الي بالتعساء الذين تلفظهم سواحلك ، ارسلي هؤلاء المشردين والفقراء ارسليهم الي » . اصبحت الان تضع شروطا للهجرة . شروطا صحية وشروطا مالية ثم تقيد عدد المهاجرين سنويا ، واخر قانون للهجرة يحدد عدد المهاجرين بنحو ١٥٠ الف نسمة سنويا يقسم على افراد القوميات المختلفة بنسبة عددها عام ١٦٠ .

وترفض بعض الدول هجرة الاجناس غير البيضاء كالصينيين واليابانيين والهنود وسكان الملايو والباكستانيين والزنوج . هؤلاء منع دخولهم بتاتا بصفة مهاجرين الى كندا واستراليا واتحاد جنوب افريقيا . وهذه السياسة الاحتكارية للارض اتبعتها دول مثل بريطانيا في وقت ما ، حتى تقيد الهجرة الى مستعمراتها ولتكون هذه المستعمرات منفذا لفائضها السكاني ، خاصة كندا واستراليا . ولكن هذا النوع من الهجرة الاوربية لم يعد قادرا على ملء الفراغ الكبير . فهذه البلاد الاوربية لا تميل الى الزيادة الكبيرة في المستقبل كما راينا . واذا وجدت زيادة في بعض اجزاء اوروبا امتصتها اجزاء اخرى ، فالمهاجرون الايطاليون يقبلون في فرنسا بسهولة ، ويهاجر العمال البلجيكيون للعمل في شمال شرق فرنسا ويرجعون الى بلجيكا ، كما استقبلت المانيا نحو نصف مليون ايطالي لتنشيط الصناعة فيها تطبيقا لنظام السوق الاوروبية المشتركة . ثم ان الاوروبي الذي يرغب في الهجرة يود ان يذهب الى بلاد اعلى مستوى . فالهجرة على النقيض من الماء تسير من المستوى المنخفض الى المرتفع .

فالنتيجة التي لا مهرب منها هي ان الطراز الوحيد للمهاجر الذي ينجح في تحويل الارض الخالية الى ارض زراعية هو الفلاح الاسيوي الصيني او الهندي او الياباني.

فاستراليا كما يقدر الجغرافي الكندي دكتور جريفث تايلور تستطيع أن تتحمل عددا يتراوح بين ٣٠ ، ٥٠ مليونا بدلا من ١٢ مليونا الان . ولكن الاستراليين يطلقون على جيرانهم الاسيويين لقب الخطر الاصفر ، ويدعون انه اذا تدفقت الهجرات الاسيوية فان هذا سيؤدي الى انخفاض الاجور . ذلك ان التشريعات الصناعية عملت على رفع أجور العمال حتى غير الفنيين منهم ، كما نجحت في خلق ظروف مناسبة لهم تعتبر بصفة عامة اكثر تقدما مما وصل اليه الحال في اوربا وامريكا الشمالية . وربما هددت هذه الهجرات هذا المستوى المعيشي ، لانخفاض مستوى معيشة الاسيوي وقبوله اجورا اقل من الحد الادنى . ولكن الرد على هذا ان الاسيويين اذا هاجروا فارغبة في رفع مستوى معيشتهم لا لخفض مستوى معيشة الشعب الذي استضافهم . ولا يمكن ان نتخيل ان الاسيوي او غير الاسيوي يحب الفقر ويعشق الكفاف .

ثم ينظر الاستراليون الى الاسيويين نظرة عنصرية يلخصها هيوز أحد رؤساء وزراء استراليا في قوله « اذا كان للملايين البشر الذين يزدحمون بالمناكب في آسيا ، اذا كان لهم حق مشروع في الهجرة الى الاراضي الخالية من السكان فاننا لا يمكن ان نستبعد حقوق سكان استراليا ذاتهم في تنظيم الهجرة الى بلادهم . اما اذا اعتبرنا الهجرة ضرورية وواجبة لحل مشكلات اكتظاظ السكان فمعنى هذا ان الارض في النهاية سترثها الشعوب المتخلفة فهي اكثر الشعوب تناسلا بوجه عام ، فالاسرة الانجلو سكسونية المكونة من ٣ افراد تصبح بعد الجيل السابع او الثامن ٣٤٨ فردا ، بينما الاسرة الصينية المكونة من ٧ اشخاص تصبح حوالي ٦٠٨٧ ، وهذا معناه نهاية المدنية».

ففكرته قائمة على العنصرية ، وهي فكرة ثبت خطأها ، بل لقد ثبت في استراليا ذاتها ان الزيجات الانجلو صينية لا تقل نجاحا عن الزيجات الاخرى . وفي هذا يقول جريفث تايلور « ان الاستراليات الاوربيات الاصل والمتزوجات من صينيين يعشن في سعادة لا تقل عن سعادة اللاتي تزوجن من اوروبيين ، كما يصرح مدير القسم الطبي هناك بأن الاطفال المولودين يتمتعون بصحة أجود .

ما يقال عن قدرة استراليا على تخفيف الضغط السكاني يقال عن كندا التي يبلغ سكانها ١٦ مليونا ، فانها تستطيع ان تستوعب ٣ امثال هذا العدد دون خفض لمستوى معيشة سكانها .

كذلك الحال في امريكا اللاتينية وارضها العذراء التي قدر لها ان تستوعب ٢٥٠ مليونا والتي لم تكن لديها عقدة اللون والجنس بدأت للاسف الشديد تتأثر في هذه الناحية بامريكا الشمالية . ونتيجة لذلك اصدرت كثير من جمهوريات امريكا اللاتينية القوانين التي تحد من الهجرة اليها . فالبرازيل مثلا حددت عدد المهاجرين اليها من اي

بلد بحيث لا يتجاوز ٢ ٪ ممن وفدوا اليها بين عامي ١٨٨٤ و ١٩٣٣ . ولعل الطريف ان اكبر نصيب للمهاجرين طبقا لهذا القانون للبرتغال مع انها ليست مزدحمة بالسكان ولا هي في حاجة ملحة الى الاستفادة من هذا القانون .

لم يبق امامنا سوى تنظيم النسل . وهي سياسة لا بد وان تتبع بقدر الامكان حيث توجد خلايا النحل ذلك ان باب الهجرة غير مفتوح على مصراعيه امام هذه الشعوب ، وحتى اذا فتح فلا بد من تنظيم للنسل . فلو ان جميع البلاد فتحت ابوابها للمهاجرين ، ولو ان جميع السفن التي تنقل الركاب من قارة الى اخرى تركت مسارها المالوف وحصرت عملها في نقل الصينيين والهنود واليابانيين من بلادهم الى بلاد اخرى لما استطاعت ان تنقل الزيادة السنوية ني العالم .

ولا عبرة للمعارضين لهذا الاتجاه فيجب ان تتخذ كل دولة الاتجاه السكاني الذي تتطلبه بيئتها ومواردها . فالشيوعيون مثلا يهاجمون فكرة تحديد النسل ويتهمون الامريكيين وانصار التحديد عموما بأنهم من آكلة لحوم البشر الذين يهدفون الى القضاء على اجناس لمصلحة سادة يستمتعون وحدهم بالحياة . وقد حدد رابيسكو عام ١٩٤٧ امام لجنة السكان بالامم المتحدة ، موقف الاتحاد السوفييتي بوضوح تام حين قال « اننا نعتبر كل اقتراح يقدم لهذه اللجنة بفرض تحديد الزيجات او تحديد عدد الاطفال داخل اطار الزواج بانه همجي بربري . ان الانفجار السكاني ليس الا ثمرة النظام الراسمالي ومن الممكن مواجهة اي زيادة في السكان اذا طبق نظام اجتماعي سليم ، ويجب ان يتمشى الاقتصاد مع عدد السكان لا العكس » .

ويسير الاتحاد السوفييتي على هذه القاعدة « فيمنح المراة التي تنجب ما يزيد على ١٠ اطفال وسام الام المثالية . ولكنه في الحق يملك مساحات شاسعة خالية من السكان في قسمه الاسيوي كما يملك ثروات ضخمة من المواد الاولية تنتظر الايدي العاملة ، هذا فضلا عن انه فقد في الحرب العالمية الثانية نحو ٢٥ مليون نسمة .

وليس ادل على ان الاتجاهات المختلفة هي من وحي البيئة اكثر منها فكرة او مذهب من ان الصين الشيوعية اخذت بتحديد النسل ، فقد وجهت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي توجيهات لجميع فروعها بخصوص تحديد النسل، واعيد النظر في التشريع الخاص بالاجهاض والعقم في عام ١٩٥٦ واتسع حتى شمل الامهات اللاتي انجبن ٤ اطفال ، والنساء الفقيرات اللاتي تعدين الثلاثين من اعمارهن ، وظهر اخيرا قانون يبيح اجراء عمليات العقم عند الجنسين ، وكذلك عمليات الاجهاض تحت ظروف معينة ، كما تقرر تأخير سن الزواج الى ٢٠ سنة بالنسبة للرجل و١٨ للفتاة. وذلك حتى تخفض من معدل مواليدها بنسبة ٥٠ ٪ خلال العشر سنوات القادمة . ولفداحة الزيادة السكانية نذكر ان الصين وزعت العقاقير المختلفة على ما يقرب من ٢٥ مليون أسرة ومع ذلك فعدد الاسر التي تقل اعمارها عن ٤٥ سنة أي التي في سن الاخصاب اكثر من مئة مليون اسرة .

في اليابان ، بعد ان بلغت درجة عالية من الحضارة والقوة في هذا القرن لم تنظر بعين الارتياح لقفل باب الهجرة في وجه رعاياها ، كما ان ضغط السكان فيها اضطرها للبحث عن منافذ لتصريف الزائد مما جعل مسألة الهجرة محور السياسة اليابانية في منشوريا وكوريا وجزر المحيط الهادي ، وكانت تطمع من قبل في اتساع نفوذها السياسي وبذلك كانت تشجع النسل حتى يتهيأ لها شعب كبير يمكن ان تبني على اكتافه امبراطوريتها ، غير ان عدم تحقيق هذا الهدف وضعها في مأزق لا تحسد عليه ، فرغم نهضة الانتاج الزراعي والصناعي ورغم الاعانات التي منحتها الولايات المتحدة لليابان والتي بلغت عام ١٩٥١ أكثر من بليوني دولار ، فقد ظهر في ذلك العام ان متوسط دخل الفرد الياباني يقدر بنحو ٨٢ ٪ من دخله في عام ١٩٢٥ ، وذلك بسبب الزيادة السكانية السريعة ، فأصدرت الحكومة قوانين باباحة صناعة ادوات تحديد النسل وبيعها ، واباحة الاجهاض وجعله عملا مشروعا . وانشأت مجلسا يعرف بمجلس مشكلات السكان . وقد جاء ضمن توصياته «انه اذا اردنا ان نحول دون الزيادة السريعة في السكان ، وهي زيادة ان استمرت تقضي على كل جهد يبذل لاقامة بناء اقتصادي سليم ، ينبغي ان نمد المتزوجين بالمعلومات الخاصة بتنظيم النسل ، وان نيسر للشعب كله الحصول على ادوات تحديد النسل بأسعار زهيدة » .

فيما يختص بالهند كان راي غاندي ان ينقطع الناس عن الزواج او يتأخروا به ، ولكن لم يصادف هذا الراي نجاحا لتنافره مع طبائع البشر . وقد وجدت الهند ان الوسيلة الوحيدة هي تنظيم النسل ايضا . فرصدت في الخطة الخمسية الثانية ٥٠ مليون روبية لانشاء العيادات الطبية المختصة في نصائح منع الحمل ، وعمد وزير الصحة عام ١٩٥٨ الى توزيع عقاقير واجهزة منع الحمل مجانا في الاوساط القروية ، كما وزعت مكافآت في ولاية كيرالا لمن يقبلون الخضوع لعمليات التعقيم .

هكذا نرى ان الدول المكتظة بالسكان بدات فعلا في تنظيم النسل ، ولكن نشر هذه الدعوة بين مئات الملايين ، خاصة الذين لا يتوفر عندهم وعي كاف اثرها بطيء . فيجب ان تكون الهجرة جزءا من السياسة السكانية ، فالارض حق للبشر جميعا ، واذا كان محض الصدفة التاريخية قد جعل بعض الشعوب تحتكر مساحات فوق طاقتها فلا يجوز ان نجعل هذه الصدفة تكرر ما حدث في القرن العشرين في اليابان وفي المانيا الهتلرية ، لان هذه الشعوب المحرومة قد تلجأ الى القوة لحل المشكلات التي تعترضها لتحصل على مزيد من نعم الحياة .

محمد عبد الغني سعودي

الاب أغسطين مرمرجي الدومنيكي

١٨٨١/٧/٣١ – ١٩٦٣/٤/٢٩

بقلم يوسف اسعد داغر

* * *

نعت الينا انباء القدس العالم الثبت ، والكاهن الغيور الفاضل ، واللغوي المحقق والفيلولوجي الثقة : الاب اغسطين مرمرجي الدومنيكي ، استاذ فقه اللغة والمعجمية السامية في المعهد الدومنيكي للدراسات الكتابية وعلم الاثار والعاديات الفلسطينية في القدس ، وعضو المجمعين اللغويين في دمشق والقاهرة . جلت وفاته في ٢٩ من شهر نيسان (ابريل) المنصرم عن عمر جاوز الثمانين قضاها في خدمة الدين والعلم ولاسيما معجمية اللغة العربية وفقهها وفي الالسنية السامية المقارنة كاتبا باحثا ، ناقدا ، منقبا ، مؤلفا ، اختصاصيا مستبحرا ، طالما صال وجال

كان الاب مرمرجي طويل الباع ، راسخ القدم في علم اللغات السامية ، بحرا خضما في الالسنية السامية ، والمعجمية العربية ، له في هذه المجالات الصعبة المرتقى مؤلفات وبحوث مخدومة هي مراجع ثقة واصول ركينة لدى العاملين في حقل الفيلولوجيا العربية المقارنة . فقد كان في الطليعة بين العاملين في هذا الحقل ومن الرواد الذين مهدوا لهذه المباحث بالعربية .

فقد عقد في فقه اللغة العربية والالسنية المقارنة العديد من الابحاث والمقالات المخدومة جعلت منه بحق رائدا من رواد هذه العلوم بلغة الضاد . وقد طلع على الملأ العلمي بنظريته الثنائية في اللغة العربية ، هذه النظرية التي تقول ان مصدر الافعال يتألف من حرفين اصلا وليس من ثلاثة أحرف ، كما درج نحاة العرب على القول .

وقد ظن هذا الظن عرضا فريق من القدامى في ما بحثوا من امور فقه اللغة وبما وضعوا من مؤلفات في الفيلولوجيا العربية الا انهم لم يبحثوا عن الثنائية بحثا صريحا واسعا ، وافترض بعضهم وجودها في مصنفاتهم . وكذا قل في متابعيهم في الازمان اللاحقة . منهم مثلا : ابن جني في كتابه « الخصائص » ، والراغب الاصفهاني في « مفردات غريب القرآن » ، وابن منظور في « لسان العرب » ، والزبيدي في « تاج العروس » .

اما العصريون من فقهاء اللغة العرب ، فبينهم طائفة قالت بالثنائية على تفاوت بينهم من حيث التقصي والتبسط في الموضوع . فمنهم مثلا احمد فارس الشدياق في « سر الليال في القلب والابدال» ، والاب انستاس الكرملي في « نشوء اللغة العربية » ، والشيخ عبد الله العلايلي في كتابه : « مقدمة لدرس لغة العرب » ، وعبد الله امين في بحثه عن علم الاشتقاق نشره في الجزء الاول من مجلة المجمع اللغوي المصري ، وطاهر الجزائري في « شرح خطبة الكافي في اللغة » ومنصور ابو صالح في مقال له في مجلة « الميناء » اللبنانية (١٩٤٨) عدد ١ ص ٣٩–٥١ ، وجرجي زيدان في كتابه « الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية » (مصر ١٩٠٤) .

والظاهر انهؤلاء العصريين نقلوا ما نقلوه عن المتسيميين (علماء اللغات السامية) الغربيين ولم يعمد واحد منهم الى تطبيق هذه النظرية على مواد المعجم تطبيقا مفصلا بتنسيق وتعليل من القياس والمنطق كما فعل الاب مرمرجي الذي انقطع بكليته الى اسلوبه وتأييده بالحجة الدافعة، في مقالات وكتب تبين التلاحم والتناسق المنطقي في سير توسع الالفاظ وتطور مدلولاتها .

ولد الاب اغسطين مرمرجي في بغداد ، في الحادي والثلاثين من شهر تموز ١٨٨١ ، وفيها تلقى دروسه الابتدائية في مدرسة الاتفاق الكاثوليكي الوطنية . وكان احد اساتذته فيها الشماس فرنسيس جيران ، خال المرحوم الاب انستاس ماري الكرملي . وكان هذا الاستاذ وطنيا عراقيا متضلعا من الرياضيات والعلوم العربية ، فنفخ في روح تلميذه الصغير محبة الوطن والولوع بأسرار العربية. ثم أرسل مترجمنا الى المعهد الاكليريكي في الموصل حيث تلقى علومه العالية في اللغات والاداب العربية والسريانية واللاتينية ، والفرنسية والانكليزية ، مع الالمام في ما بعد بالالمانية واليونانية والتركية ، فضلا عن الفلسفة واللاهوت والحقوق الكنسية والتاريخ الكنسي والمدني والمعارف العصرية.

وعقب اكماله الدراسة وتثقيفه بهذه الثقافة العالية التي نمّاها في ما بعد وغذّاها بما وضع من الكتب وحرر من المباحث والقى من المحاضرات العلمية ارتقى الى الدرجة الكهنوتية سنة ١٩٠٦ ، فعلم مدة من الزمن في بغداد والبصرة ، اتصل خلالها بالاب انستاس ماري الكرملي وقبس عنه الى جانب قيامه بمهامه الروحية وادارة المدارس وتلقين اللغات والاداب والفلسفة . ثم رحل الى القدس وارسل منها .الى فرنسة حيث مكث عدة اعوام للتفرغ لبعض المهام المتعلقة بالحياة الرهبانية . ثم عاد الى القدس حيث عين استاذا للعربية وغيرها من الالسنة السامية في المعهد الكتابي والاثاري الفرنسي العائد للرهبنة الدومنيكية . وقد تفرد بمزاولة المعجمية والمقارنة الالسنية السامية ، فلمع اسمه في العراق وفلسطين والديار العربية الاخرى بما القى فيها من المحاضرات الفلسفية والدينية والاجتماعية واللغوية والبلدانية الفلسطينية . وقد اقام فترات من الزمن في باريس ورومة والقاهرة وبيروت ، للبحث والتنقيب في خزائن الكتب الشهيرة .

(١) من رسالة له ترجم لذاته صادرة عن القدس بتاريخ ١٩٥٦/٧/٩

عرفت الاب مرمرجي وانا طالب علم في اكليريكية الصلاحية في القدس، وهو استاذ مزاول في المعهد الكتابي، فكنت انظر اليه نظرة القزم امام عملاق وطود من العلم المدخور والمعرفة الشاملة ، وكثيرا ما استمعت اليه اذ ذاك يحاضر في موضوعات كتابية او فيلولوجية او دينية .

وقد تجددت الصلات بيننا وتوثقت عرى الصداقة ايام اقامته في بيروت مدة سنتين خلال الحرب العالمية الثانية، وهو يتردد ، دونما انقطاع ، على دار الكتب اللبنانية حيث كنت اعمل نائب مدير لها، فيقبع في زاويته المعهودة، حشدت له فيها ووضعت تحت تصرفه الامهات من كتب المراجع والاصول في المعجمية العربية ــ كلسان العرب في طبعته القديمة ، وتاج العروس للزمخشري ، والقاموس للفيروزابادي وغير ذلك من المصادر الوثيقة الاخرى. وكنت آتيه احيانا ، مع صديقي وزميلي المرحوم نور الدين بيهم، فنعقد واياه حلقة علم لبضع دقائق نقطعها سراعا لئلا تضيع على الاب مرمرجي دقائقه الثمينة في بحثه عن دقائق للعربية الدفينة .

وكنت كلما زرت القدس فيما بعد ارى من اقدس واجبي ، زيارة الاب مرمرجي في دير الاباء الدومنيكيين المعروف بدير القديس اسطفانس أول الشهداء في المسيحية فنستعرض معا ، التطورات الفكرية والادبية والعلمية التي طلعت على العالم العربي في ميادين الثقافة والبحث العلمي منذ لقائنا السابق ، فألقى منه التشجيع على المضي في البحث العلمي والفهرسة البيبليوغرافية .

وقد زرته آخر مرة في عيد الميلاد الماضي ، أي من خمسة اشهر اذ كانت حالته الصحية تتدهور وتتلاشى وقد ترك المرض والالم أثرهما الظاهر في سحنته وتقاطيع وجهه فنحل جسمه ودق واسترق هيكله ، وهو يلهث بصعوبة ، ينصت بهدوء الى ما اقصه عليه من اخبار العلم والمستجد من المباحث ، اذ كان وضعه الصحي لا يسمح له بالاتصال بالجرائد والمجلات . وخرجت من بين يديه وانا كسير القلب لما آل اليه وضعه من التدهور ، متمنيا له مع الكثيرين من اصدقائه ان يمده الله بالشفاء .

وضع المرحوم الاب مرمرجي عددا من المؤلفات العلمية في مختلف الموضوعات ولاسيما في مجال اختصاصه وهو الالسنية السامية المقارنة والنظرية الثنائية التي قال بها وعلم وناضل دونها وجادل ، كما حبر الكثير من المباحث والمقالات فنشرها في مجلة « الاديب » التي كانت مجلته الاثيرة ويكن لصاحبها التقدير العالي ، وفي مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ومجلة الرسالة ، والمشرق . كذلك قام بترجمة عدد اخر الى العربية . وهذه اهم مؤلفاته :

١ ــ الدياطسرون ، أي الرباعي ــ بيروت المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٣٥ ص ٧٦٠ وهذا الكتاب هو الانجيل الذي جمعه ططيانوس (سنة ١٥٠ بعد المسيح) من الاناجيل الاربعة . ولم يبق منه الا ترجمته العربية . وقد نشر الاب مرمرجي هذا النص العربي نشرا علميا نقديا مستحرجا الى الفرنسية ومعارضا بالترجمة السريانية القديمة ، أي السينائية والكرشونية والبسيطة ومذيلا باناجيلية دياطسرية بنصها السرياني ، تقابله ترجمته الفرنسية ومضافا اليه اربعة مزامير خارج النص .

وقد نقد هذه الترجمة الارشمندريت ميشال عساف (المطران ميشال عساف اليوم ، مطران عمان على طائفة الروم الكاثوليك) ، وذلك في المقتطف مجلد ٩٠ (١٩٣٧)

٢ ــ المعجمية العربية على ضوء الثنائية والالسنية السامية ــ جونيه مطبعة المرسلين اللبنانيين ١٩٣٧ ، في ٢٣٧ صفحة ــ انقده في المشرق ٣٥ (١٩٣٧) : ٤٩٥ نقده كذلك الشيخ عبد الله العلايلي في الاديب ٢ عدد ٧ : ٥٦ وعدد ٨ : ٥٧ .

٣ ــ هل العربية منطقية ؟ او ابحاث ثنائية السنية ــ جونية ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ١٩٤٧ ، ص ١٦٢ .

٤ ــ محاضرات مختارة في الدين والفلسفة والاجتماع ــ جونية ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٤٨ ، ص ٢٥١

٥ ــ بلدانية فلسطين العربية بيروت، مطبعة جان دارك، ١٩٤٨ ص ٣٠٣ (ظهر ايضا مترجما الى الفرنسية فجاء خدمة علمية خطيرة لاثبات عربية الديار المقدسة منذ قرون عديدة . وقد راقت مأثرته هذه في عيون ارباب الاختصاص من غربيين وعرب وطنيين .

٦ ــ الازائية الانجيلية بالعربية جونية ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ، ١٩٥٠ ، ص ٣٤٤ . والكلمة « ازائية » كلمة نحتها الاب مرمرجي تعبيرا عن كتاب مطبوعة فيه الاناجيل الاربعة في اربعة حقول متوازية بحيث يسهل على الناظر الوقوع على الفقرات المتقابلة او المتناظرة في وقت معا والكلمة منحوتة من أزى يأزى ازاء ، وهي انما تدل على وضع او قيام شيئين او اشياء بعضها بازاء بعض .

٧ ــ معجميات عربية سامية ــ جونية ، مطبعة المرسلين اللبنانيين ١٩٥٠ ، ص ٢٤٧ .

٨ ــ انجيل يسوع المسيح ــ تاليف الاب لاكرانج الدومنيكي ــ بغداد ١٩٦١ ، ص ٧٠٠

نقده صاحب هذه الكلمة وعرّف بالمؤلف والمترجم وبالكتاب في مقال نقدي ظهر في الاديب مجلد ٢٠ ، عدد ٥ (يونيو ١٩٦١) ص ٣٨ــ٤٠

وله بالفرنسية الكتاب التالي :

Textes Géographiques arabes sur la Palestine-Paris, Lecoffre, J. Gabalda & Cie. 1951, XVII-240 p.

وكان من المتوقع ان يأتي هذا الكتاب في جزئين ، في كل من طبعتيه : العربية والفرنسية .

هذا هو الاب مرمرجي الذي شيعته الضاد والابحاث اللغوية الشائكة ففقدت العربية بوفاته لغويا والسنيا من الطراز الاول وعالما بالعاديات والاثريات الفلسطينية .

يوسف اسعد داغر



اقف امام المرآة . لالقي النظرة الاخيرة على ملابسي قبل الخروج، حينمادخلت زوجتي الحجرة ، والشرر يتطاير من عينيها ، ولمحتها في المرآة ، وايقنت من منظرها العام، انها تريد ان تدخل معي — كما هي عادتها دائما — في مناقشة عن سبب خروجي . ولكني التفت اليها ، وقد رسمت على شفتي ابتسامة ، تعمدت ان تكون معبرة عن آيات الحب والتقدير ، الا انها — لا ادري لماذا — لا تنخدع اطلاقا بكل ما احاول تقديمه اليها من عواطف . وحاولت في لحظات ان ابدأ الحديث بكلام عام ، ولكنهاكانت اسبق مني في ذلك، فسألتني قائلة ، وهي تضع يديها في وسطها ، وتهتز بعصبية :

— انت خارج رايح فين ؟

ولانني لا احب ان ألقي الشك في قلبها ، بالتلجلج او بالتأخير في الاجابة، فقد اجبتها على الفور محاولا الا تلتقي عيوننا :

— ابدا ... عندي ميعاد معبعض زملائي في المكتب .

واردت ان ابدو غير مهتم بهذا الميعاد ، او باسئلتها ، فالتفت الى المرآة ، واخذت اصلح من الكرافتة . دون حاجتها الى ذلك . ولكنها كانت خبيثة ، وبها اصرار ، فصدمتني قائلة :

— تقابلهم علشان ايه ..؟

ووجدت نفسي اخترع حكاية ، حين بدأتها لم اكن ادري كيف ستنتهي :

— اصل يا ستي ، الاستاذ جودة ، اتخانق النهاردة مع الريس ، وشتموا بعض والحكاية وصلت للمدير ، وسمعنا انهم حا ينقلوا جودة ...

وتوقفت برهة ، ولم ادر ماذا اقول. فانتهزت فرصة سكوتي وقالت:

— انت كل يوم تخترع حكاية ، انا لازم اشوف لي حل معاك ... دي ما بقش عيشة .

وعلى الرغم من ان كلامها هذا ، كان ينذر بتدهور الامور بيننا ، الا انني فرحت لتخلصي من تأليف باقي الحكاية ، فاندفعت قائلا :

— اعوذ بالله .. انت كل يوم لازم تفتحي لي المحضر ده ، يا ستي انا خارج .. خارج .. رايح في داهية ، انت عاوزه حاجة ..

وهي عادة لا تتحرك ، ولا تنبس حينما تجدني ارفع صوتي ، والحق انني قد صرت في هذه العادة ، وحاولت مرارا تعليلها ولكني افشل. واحسست في نفسي بالقوة، فاندفع الدم الى راسي ، وازدادت ثورتي من صمتها ، فأنا احب دائما ، ان اتأكد من تأثير شخصيتي عليها ،

الحنان

بقلم مصطفى ابو النصر

حتى ولو كان ذلك لبضع دقائق . ولكن صمتها — في هذه المرة — طال ، ونظراتها جمدت علي وانا الوح بيدي في وجهها ، ولاحظت ان جسمها تنتظمه رعشة داخلية . وكان صوتي يولول وحيدا ، ولا صدى لما اقول، فاختنق صوتي فجأة. واخذت اذرع الحجرة طولا وعرضا ، وقد تشابكت يداي خلف ظهري، واطرقت اتأمل قدمي وهما يتحركان في عصبية وانتظام . وطال صمتها ، وبدأت احس بموقفي يتأزم : لو انها نطقت .. نطقت بأي شيء ، لانفجرت كبركان واخذت اطفح ما في ، ثم جعلت ذلك ذريعة معقولة لمغادرة المنزل .. ولكن ما بالها جالسة



كالصنم ، ان نظرتها هذه المرة ، تختلف تماما عن النظرات السابقة .. لا بد انها علمت بشيء ما .. النساء .. ما اخبثهن !! ترى ممن عرفت ؟! .. الجيران .. هذه المجموعة من الطفيليات .. ولكن لم يرني احد اطلاقا .. انا متأكد .. انا واثق من ذلك .. سأحاول الان ان اخدعها .. ان اتكلم معها بلهجة لينة وصوت دافيء .. انها في الواقع طيبة القلب، واكاد اقول ساذجة .. ستصدقني ان انا ابتسمت في وجهها ، وربت على كتفها ، ثم انحنيت على خدها الوردي وطبعت قبلة ، لا شك انها ستصدقني بعد ذلك ، وعندئذ سأستطيع ان اخرج ، سأتخلص من الجلوس معها ، واذهب بعيدا ، حيث الزهرة المتفتحة ، ذات القوام المشوق ، والشعر الذهبي ، والعيون الخضر .. حتما سأجدها غاضبة ، حانقة على هذا التأخير ، والتأخير عندها معناه الاهمال ، والاهمال ليس له معنى سوى انني بدأت املها ، والملل معناه انني لا احبها .. ولذلك فلا ضرورة لمعرفتي، وسينقلب وجهها المرتب ، المثقل بالالوان ، ولن استطيع الخروج من هذه الورطة ..

كنت ما ازال اقطع الحجرة ، باحثا عن مخرج لي ، وفجأة توقفت وصوبت اليها النظر : ما زالت كما هي لا تتحرك ، وعيناها متحجرتان علي . والتقت العيون ، فأصابني شيء من الارتباك ، وهممت ان اتكلم ، ان اقول اي شيء ، ان افرق هذا الصمت الذي ران بيننا ، ولكن الكلمات انحبست في حلقي، وشعرت بجفاف في فمي ، ومرارة تخللت اسناني ، فانفرجت شفتاي ، ولكنهما انطبقتا وكان فمي قد الجم ، واخذت اتأملها: كانت ترتدي فستانا ابيض به ورد كبير بنفسجي ، خاطته هي في اوقات فراغها ، تجلس امام الماكينة وتنهمك في عملها ، وقد تدلت خصلة من شعرها الكستنائي على جبهتها، وكلما ضايقتها او شعرت بها ، طوحت

طال صمتي

حبيبة قلبي متى نلتقي
على الشاطيء الهادىء الازرق
اسير غريبا وئيدا الخطى
كأني في مازق ضيق
وابحث عنك بكل مكان
فارجع في خيبة المخفق
واسأل عنك طيور البحار
ترفرف في الافق المطلق
فلا من يرد ولا من يجيب
فاطرق في غمرة المرهق
اتمتم باسمك ليل نهار
فيا لي من شاعر احمق

حبيبة قلبي اين احتجبت
اغلغلت في السحب القاصيه
اتوق لمرآك توق الطيور
ترف على الروض والساقيه
واهوى وشيك لقاك فاني
من الهم والبؤس في غاشيه
فانت رجاء فؤادي الكئيب
وسلوى تهل على الباديه

ثلاثون عاما بهذي القفار
غدوت كشعر بلا قافيه
فقد هاض مني الزمان الجناح
وحطم قيثارتي الشاديه
لئن طال صمتي كطير جريح
فروحي في يقظة ساميه
سأرجع اشدو كما كنت قبلا
كبلبل روض على رابيه
فان الحياة نشيد طويل
اغنيه في وحدتي الساجيه

لا باز ـ بوليفيا
جورج كعدي

براسها الى الخلف في دلال عفوي .
في الواقع ان منظرها يعجبني في هذه اللحظة ، واحس حقا انها جميلة.

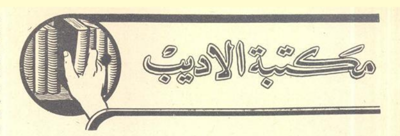
وحين تنتهي من الفستان ، تذهب الى حجرة النوم وتلبسه ، ثم تقف به امامي وكلها فخر ، ولكن فخرها يتلاشى حينما ابدي اعجابي به ، والحق انها لا تفعل ذلك كي تسعد نفسها بقدر ما تفعله حرصا على مالي ، يجب ان اعترف بأن لها ميزات كثيرة، ولكن حين تغضب فهي انسانة غير التي اعرفها في اوقات الصفاء ، الا ان عيبها الاساسي ، انها متطفلة دائما ، حين اخرج تسألني في الحاح: انت رايح فين ؟ .. وان تأخرت تستجوبني : اتأخرت ليه ؟ وفعلت ذات يوم شيئا امرضني .. فتشت بدلتي ، ومعنى ذلك انها تشك في ، وما دامت تشك فلاجعل لهذا الشك جزءا من حقيقة . وعرفتها هذه الانسانة ، لقد تأخرت عن الموعد .. لا بد ان انزل .

واندفعت خارجا من الحجرة ، وتعمدت ان اضرب قدمي بالارض ، وامتدت يدي وفتحت الباب الخارجي ، وهبت نسمات رطبة انعشتني ، فتوقفت امام الباب ، ولم اغلقه ، واحسست بشيء ما في نفسي ، لم اتبينه في اول الامر ، ثم بدا يتفتح شيئا فشيئا .. : ساتركها وحدها ، واذهب انا .. من هذه ومن تلك . وانتصبت امامي صورتهما .. كان الهواء في السلم رطبا باردا اشعرني بالنعيم ، بالحياة .. بكل ما فيها .. لا شك انها ستبقى جالسة في الكرسي كما هي ، وتبدأ في التفكير ، وقد تبكي ، وستنحدر الدموع على خديها ، ثم تتعب دون فائدة ، فتنام في السرير ، وحيدة .. وربما بائسة ..

وبخطوات بطيئة ، مترددة ، عدت واغلقت الباب خلفي ، ودخلت الحجرة . كانت كما هي في مكانها ، وبدا لي ظهرها منحنيا ، ولكنه طيب، وانفرجت شفتاي :

ــ نادية .. قومي البسي .. حانروح السينما ..

القاهرة
مصطفى ابو النصر



لقــاء هنــاك

قصة ـ تاليف ثروت اباظه ـ (؟) صفحة ـ مطبعة (؟)

شك يقود الى يقين وتمرد يؤدي الى خضوع ودعوة الى حـب كبير ، تلك هي قصة « لقاء هناك » ، وليس الشك والتمرد بغريبين في هذا العصر .. العصر الذي حطم فيه الانسان الذرة ووصل الى القمر فأخذه الغرور فآمن بنفسه وكفر بكل القيم الدينية وبكل القيود التي تحد من حريته ، « ودعوة الانسانية » ظهرت في اوروبا عندما بدا فيها التصنيع ولقد سرت عدوى هذه الدعوة الينا ونادى بها اناس قبل ذلك بثلاثين عاما ولقد نشرت مجلة « الهلال » عدد يونيو ١٩٣١ مقالا بعنوان «العلم والايمان وديانة الانسانية الجديدة » وفيها « ان هذه الديانة الجديدة قد انتشرت في امريكا ، وان اصحابها يقولون ان مسألة وجود الله او عدم وجوده ليست من المسائل الجوهرية ، اذا عمل الانسان ما هو صالح في هذا العالم وقد فعل ما هو مطلوب منه سواء كان له روح خالدة أم لم تكن . وتكول المجلة بلسان صاحب هذه الديانة « لـو كان جميع الناس يعتقدون كما اعتقدنا ان هذا العالم هـو الفردوس الوحيد الذي ليس بعده فردوس اخر لوجهوا كل قواهم الى تحسينه ليصبح فردوسا حقيقيا بكل معنى الكلمة اما وهم يؤمنون بوجود فردوس اخر افضل وان الانسان نزيل فان على هذه الارض فهم يحرضون كل واحد على احتقار الحياة وعلى تصويرها بأشنع صورها حتى تصبح جحيما لا يطاق » .

وفي كتاب « فن الادب » تحت عنوان « الحضارة روح » يتحدث توفيق الحكيم عن المادة فيقول « وان استطاعت ان تشـتري مظهر الحضارة فلن تستطيع ابدا ان تشتري روح الحضارة » ثم يسوق حديثا لشاعر ياباني يسمى اكاكورا يتحدث فيه عن الازهار والمادة واثرها في المجتمع « ما من حقيقة راسخة في كياننا دائما غير الجوع .. ما من شيء مقدس عندنا غير شهواتنا .. الهنا عظيم ولكن نبيه في نظرنا هو الذهب ، من اجله وفي سبيل قرابينه ، ندمر الطبيعة برمتها .. نحن نفخر بأننا اخضعنا المادة ولكننا ننسى ان المادة هي التي اخضعتنا وجعلتنا لها عبيدا .. يا لفظاعة ما نرتكب باسم الثقافة والاحساس والفكر ؟ .. حدثيني أيتها الازهار اللطيفة ! .. يا دموع النجوم .. ايتها الناهضة في الحديقة ، تترجح رؤوسك تحت رشفات النحل ، وقبلات الشمس، ولمسات الندى.. أتعرفين ما ينتظرك غدا من مصير رهيب؟»

وعباس بطل قصتنا هذه واحد من هؤلاء الذين يعيشون في هذا العصر، بهرته انتصارات الانسان فآمن به وتمرد على القيم والتقاليد الدينية والاجتماعية وقد هيأ له المؤلف الاسباب التي ولدت في نفسه الثورة فمنها نشأته في اسرة ربها يعمل واعظا ويصبغ الاسرة كلها بالصبغة الدينية والعامل الثاني ، قسوة مدرس الدين على التلاميذ ومنهم عباس . ولقد بين المؤلف فشل الوالد والمدرس بالنتيجة الفاشلة التي وصل اليها كل منهما . وشخصية عباس شخصية متطورة ، بدأ عباس هادئا هدوء البركان ، لقد اظهره لنا المؤلف بمظهر المطيع لكل اوامر والده لا يجادله في امر ولا يعارض ، ثم يسير به المؤلف تدريجيا ويجمع حولـه العوامـل التي تفجـر الثورة المكبوتة في نفسه ، من هذه العوامل عندما كان يصلح الراديو شعر بالفخر على هذه الالة فانه سيدها يفعل فيها ما يشاء ثم قارن بينه وبينها فهو مثلها يتحكم فيه والده ـ ومـرت هذه اللمحة الخاطفة ولكنها ترسبت في اعماقه ثم ساق المؤلف في طريقه عرضا الاراجوز فأثار في نفسه الحنق وفجر الثورة الكامنة التـي ظل يخفيها في نفسه مدة طويلة ، وانطلق يسير في الشارع تاركا صديقه واخذ يفكر ، ولم يذهب الى الجامع ليصلي عن تصميم وعزم ، وانفجرت الشرارة التي نلمسها في هذا الحوار القصير الذي دار بـين عباس ووالده عندما عاد الى المنزل :

ـ أين كنت؟ ـ لم... لم اكن. ـ لماذا لم تأت الى الجامع ؟ (وصمت عباس وقال ابوه محنقا) : انطق . ـ كنت.. كنت.. ـ انطق.. أين كنت؟ ـ كنت اسير في الطرقات. ـ وماذا؟ ـ اردت ان اسير في الطرقات. ـ اردت ماذا؟ ـ أليس هذا حقي؟ ـ وحق الله يا كافر يا ملعون!! ـ لا بد ان اكون مقتنعا بالصلاة حتى اصلي. ـ مقتنعا؟ ـ نعم... أليست الحرية هي أهم شيء في الوجود ؟ ـ فانت غير مقتنع بالصلاة . ـ لا .

ولقد ساق المؤلف الحوار بهدوء واظهر تردد عباس ولكنه تردد من يجمع قوته ليلقي بالقنبلة المدمرة ، والحق انني شعرت بالعطف والشفقة على عباس وهو واقف امام والده ولقد عبرت كلمة اردت تعبيرا صادقا عما يجول في نفس عباس ، عبرت عن ارادته في الحصول على حريته لقد ثار عباس على والده . لانه يمثل الدين وثار على الدين لانه يتمثل فيه قوة والده ورهبة مدرسه ، لقد انطلق عباس من قيوده واتخذ له دينا جديدا لا يخضع فيه لانسان ولا لاي قيد يحد من حريته لقد آمن بالانسان لانه يستطيع ان يفعل ما يشاء دون الاستعانة بقوة عليا ، هذا الايمان الذي اهتدى اليه تفكيره يتمثل في قوله :

« السماء والارض ملك يميني انـا الانسان ألعب فأبلغ اقصى قمـم السماء او ألعب فأبلغ اعمق اعماق الارض لا اعرف شيئا في العالم أقوى مني ... مني انا الانسان ... اخيرا استطعت ان اجد نفسي واعرف طريقي لا خائفا ولا قلقا .. اخيرا استطعت ان انفض عني ذلك الرعب الذي كان يملأ نفسي وحياتي واحس به يمسك يدي وقدمي بل احس به يمسك عواطفي ومشاعري تخشى ان تنطلق بل تخشى حتى ان تهجس بوجودها في نفسي » .

حصل عباس على حريته ومارس هذه الحرية ، مارسها مع ايفون ابنة مرقص افندي صديق والده ، وكانت الخطيئة . وشخصية ايفون تشبه شخصية عباس فهي تملك روح التحرر ، فهي تؤمن بالحب والسلام للجميع للاعداء والاصدقاء ، أليس المسيح يدعو الى المحبة والسلام ، والاديان كلها تدعو الى الحب والسلام ، فأي ذنب لحبها لعباس صديق الطفولة والاديان كلها تدعو الى الحب والخير ـ بهذا المنطق حللت حبها لعباس وانطلقت في حبها غير مبالية بالنتائج المترتبة على ذلك .

ولقد كانت ايفون ايجابية في تصرفاتها اكثر من عباس الذي كان اسير خوف داخلي رغم حصوله على حريته .. خوف كان يقيده ويحد من تصرفاته وهو لا يشعر ـ ولم يظهر هذا جليا واضحا الا في نهاية القصة في لحظة ولادة زوجته . واجابية ايفون تتضح عندما اكتشف ابوها جريمتها فانها لم تقو على البقاء في البيت فهربت واشتغلت في شركة ثم سارت في طريقها ولكنها ثابت الى رشدها وعادت الى بيتها بعد ان عرفت ان عباس قد تخلى عنها ولقد احسن المؤلف صنعا بعدم الاستمرار في وصف استقبال الاسرة لها بعد غيبة طويلة ورغم الخطيئة

التي ارتكبتها ، لقد ترك هذا الذكاء للقارىء لينتهي الى النتيجة بنفسها حسب الدلائل التي ساقها في اول القصة عن والد ايفون ووصف طبعه الذي يتسم بالهدوء والحكمة في كل تصرفاته .

ولقد قابل المؤلف بين عباس وليلى فعرض علينا شخصية ساخطة متحررة وهي شخصية عباس ثم اتى بليلى لحفظ ميزان القوى في القصة فهي تمثل الايمان وهذا الايمان ليس ايمانا اعمى ولكنه ايمان نتيجة بحث ودراسة الفلسفة اثناء دراستها في الكلية ، خرجت منها بأن جميع الفلسفات تؤمن بوجود الله . ولقد عرض علينا المؤلف في هذه القصة نماذج بشرية مختلفة كل نموذج يمثل قطاعا بشريا معينا ، فشعبان الشخصية الثانوية يمثل قطاع الذين يؤمنون بان لكل شيء ثوابه فالصلاة لها ثوابها والعربدة لها جزاؤها ، والشيخ سلطان يمثل قطاع رجال الدين الذين يسيئون الى الدين ، ولقد بين المؤلف خطأ الطريقة التي يتبعها رجال الدين في الوعظ والارشاد كما تناول طريقة تدريس الدين في المدارس . وليلى فتاة مؤمنة بالله وقد زادتها دراستها للفلسفة ايمانا بالله . وايفون فتاة متحررة تؤمن بالمحبة للجميع .

ولقد رسم المؤلف تلك الشخصيات رسما دقيقا من الخارج يكشف عن نفسية كل منهم الا اننا نلمس شخصية المؤلف مسيطرة على ابطال القصة ويتضح ذلك جليا فيما ينطقه عباس وليلى من فلسفات . ولقد سرد المؤلف حوادث القصة سردا مشوقا يربط القارىء بالقصة حتى ينتهي منها ، وبناؤها متكامل ، كما اظهر براعة في كتابة الحوار باللغة الفصحى .

واخيرا تصور القصة الصراع النفسي الذي يعانيه الشباب في هذا العصر ورغبتهم في الانطلاق والتحرر من كل القيود ، قيود الدين وقيود البيئة . ولكن المؤلف اثبت ان الانسان بلا ايمان انسان ضائع ، ولقد صور المؤلف هذا عندما احس عباس بالخوف على زوجته واحس بعجز الانسان عن انقاذ زوجته في هذه اللحظة عرف ان هناك شيئا ينقصه ، شعر ان هناك قوة عليا تفعل المعجزات فهمس قائلا « يا رب ... يا رب » فكانت النهاية الطبيعية للشوط الكبير الذي قطعه عباس وما عاناه من قلق واضطراب وخوف وكان يتوهم انه قوي ، ولم يتخلص من الخوف الا برجوعه الى الله والايمان به ، والقصة تهدف الى ان كل انسان له ان يستعمل تفكيره للوصول الى الحقيقة . دون ان يتعدى حدود طاقته وقدرته حتى لا يكون في خروجه تحطيم لنفسه وللمجتمع .

القاهرة — ابراهيم عيسوي سعفان

•

نشأة النقد الادبي الحديث في مصر

تأليف عز الدين الامين — (؟) صفحة — مطبعة (؟)

تعددت الابحاث والدراسات التي تتناول فن النقد الادبي الحديث ، غير ان تاريخ نشأة هذا الفن وتطوره لم تكن موضع دراسة مطولة مستقلة حتى كتب الاستاذ عز الدين الامين كتابه هذا الذي القى فيه الاضواء على تطور النقد في الادب العربي المصري منذ اواخر القرن التاسع عشر الميلادي الى نهاية الربع الاول من القرن العشرين (١٩٢٥ تقريبا) .

ويرى المؤلف ان هذه الفترة كافية لتمديد اسس النقد الحديث عند نشأته في مرحلتيه (١) المرحلة الاولى وهي النقد القديم كما يتمثل عند حسين المرصفي وحمزة فتح الله ومحمد المويلحي وسيد المرصفي .. (٢) المرحلة الثانية عندما نشأ النقد الحديث ممثلا في كتابات الرافعي ونلينو والعقاد والمازني وطه حسين وهيكل وزكي مبارك واحمد ضيف .

وقد قصد المؤلف الى ان يكشف عن نشأة فن النقد وميلاده في العالم العربي وعنده ان بيان هذه المقاييس الاولى من شأنه ان يهدي

الادباء المثقفين بما يرسم لهم من أصول وقواعد ينبغي ان يتنبهوا لها حين ينشئون او ينقدون . ومنها ان تاريخ الادب ينتفع بتاريخ النقد نفسه اذ ان النقد وسيلة من وسائل التاريخ الادبي وتطور فنونه وكذلك بيان قيمة كل من شارك في بناء هذا الصرح الضخم من فن النقد الحديث . وكذلك الموازنة بين النقد القديم كما انتهى في مطلع القرن العشرين وبين هذا النقد الحديث وكيف اختلفت الاتجاهات والوسائل اذ هما عصران متمايزان يمثلان فترتين من فترات الحضارة العقلية والشعورية والجمالية .

والمؤلف عز الدين الامين من الشباب السوداني المثقف الذي يلي اليوم عملا متصدرا قوي الدلالة في النهضة الادبية السودانية فهو رئيس جماعة الادب المتجدد في مؤتمر الخريجين وهو من المؤمنين بوحدة الادب العربي في العالم العربي وقد اتاح كتابه هذا ان يكشف الطريق امام جوانب كثيرة من فنون الدراسة الادبية المعاصرة . وهو يستخلص من بحثه ان النقد الادبي الحديث قد اتجه في جملته نحو النقد الغربي وخاصة النقد الانجليزي والنقد الفرنسي فاصبح لا يقيس الادب من ناحية عامة الا بتلك المقاييس الغربية .

وعنده ان هذه المقاييس الغربية لا يجوز الاخذ بها على اطلاقه نظرا لاختلاف طبيعة ادبنا العربي عن هذه الاداب . وعنده ان التقليد المسرف للنقد الغربي لا شك يضعف اللغة العربية ويضعف ادبها وان كان نقدنا قد استفاد من النقد الاجنبي كثيرا من هذه المباحث في الخيال والعاطفة ودراسة الشخصية والبيئة والعصر ووحدة القصيدة وقد كان هذا التطور في النقد واضحا بعد ان كان النقد القديم يعتمد على وحدة البيت ويجتزىء الاحكام ويتعجلها ويعممها .

وعنده ان النقاد المحدثين قد ذهبوا في النقد مذهبين رئيسين تبعا لثقافة كل منهما ، سواء كانت ثقافة عربية أم ثقافة غربية ، وجملة القول ان المدرسة القديمة كانت تعنى بالنقد اللغوي كما كان يفعل نقاد العرب القدماء فتحفل بالصيغ والالفاظ والنواحي البلاغية . اما المدرسة الحديثة فتعنى بالتجربة الشعرية والصياغة الفنية وينصب نقدها على الناحية الموضوعية وتنتهج نهجا غربيا في نقدها ولا تهمل العناية بالنقد الفقهي .

وجملة القول ان كتاب الاستاذ عز الدين الامين كان عملا جديدا نافعا يعين الباحث في مجال تطور النقد . والذي نطالب به الكاتب هو ان يواصل دراسته منذ توقف عند عام ١٩٢٥ حتى يصل بها الى مرحلة اوسع حيث استكمل هؤلاء النقاد ابحاثهم وتطور فن النقد معهم تطورا له ملامح جديدة .

وحبذا لو عني بدراسات النقد للمعاصرين في المراحل الاولى كالمعارك التي اثارها طه حسين قبل سفره الى اوربا مع المنفلوطي ، وآراء الرافعي والمنفلوطي وشكيب ارسلان في الشعراء والكتاب ، وهي الاراء التي اثارت ضجة في اول هذا القرن .

القاهرة **انور الجندي**

•

ارادة الحياة

ديوان شعر – عبد الصاحب الملائكة – ١٢٦ صفحة – دار التضامن للتجارة والطباعة والنشر ببغداد

ان الشعر هو التعبير الكلامي الموسيقي عن الحياة بطريقة فنية اخاذة ، وفي الحياة اشياء كثيرة تبدو للناقد السطحي تافهة ، ولكنها ليست كذلك للشاعر اذا ما تاثر بها فعلا فعبر عن عاطفة نحوها بحرارة وتعمق، فالشعر هو تعبير عن اللحظات التي يمر بها الشاعر وهي لحظات تكون مشحونة بالطاقة الشعورية ، والمهم في هذه اللحظة درجة الانفعال الشعوري للموضوع الذي يطرقه الشاعر وديوان « ارادة الحياة » للشاعر عبد الصاحب الملائكة يفعم اصدق الاحاسيس ، وقد ملكت عليه العواطف سمعه وبصره فواتاه الالهام ، وساعفه النغم فراح يثير لنا عواطفه المتاججة فيسطرها على القرطاس شعرا رقيقا تلمس فيه العواطف الجياشة :

احرقت في دلالك القلبا ... الا تزالين معي غضبى
جرعتني كاس الهوى علقما ... من بعد ان رشفته عذبا
وعفت روضي قاحلا اجردا ... وكان في قربك لي خصبا

الى ان يقول :

نعمى تعالي نبن عشا لنا ... يعلو نجوم الفجر والسحبا

لم يكن الشاعر موفقا في تشبيهه هذا اذ لا فرق بين النجوم سواء أكانت في الفجر او في الليل ويظهر ان هذا ضرب من الحشو .

والشاعر قصيدة يؤبن بها العلامة الاب انستاس ماري الكرملي جاء فيها :

اني لابهت عند وصفك حائرا ... افهل تحيط العين بحرا مترعا

فالمترع : المملوء فيقال (حوض ترع) أي ممتلىء . والبحر كما جاء في مختار الصحاح للجوهري (قيل سمي به لعمقه واتساعه) ولذلك فان قوله (تحيط العين بحرا مترعا) ليس من الحكمة في شيء .

وفي قصيدته عهد الشباب يقول :

من رؤاك الفنون شع سناها ... وقبست الاحلام من مرج عبقر

فكلمة مرج بمعنى « مرعى الدواب » والمعروف (وادي عبقر) .

وفي شعر الملائكة صور انسانية رفيعة فمن درر قصائده الرائعة التي تعبر عن الواقع المر هو قصيدته التي عنوانها (الشبح المرعب) التي يقول في مطلعها :

عجبا وحق لي الغداة تعجبني ... أيجوع سكان العراق المخصب
آتفيض دجلة بالحياة وسرها ... ويضيع فائض خيرها المتصبب
يا من يقضي العمر يحصي ماله ... ويجوع الالاف بغية مكسب
هل طلت قارونا وحزت كنوزه ... او ما تهاب صروف دهر قلب

وفي قصيدته « فراق » يعبر تعبيرا صادقا عما يختلج بين جوانحه من الام ، وما يضطرب في فؤاده من ضيق ، فيصور لنا الم الفراق تصويرا بارعا يأخذ بمجامع القلوب ، ويستهوي الالباب فيقول :

أتذهب عني ولا من وداع
وتتركني في جحيم التياع
اصارع قلبي ويا للصراع
يحن اليك ولا اخضع
ويسالني : « أفلا ترجع »

ويصور لنا الشاعر الفجر تصويرا شاعريا رائعا فيه الخيال الجميل والاداء الموفق فيقول :

ويرنو لي الفجر دامي الجراح
يريق على الزهر دمع الصباح
فعرس الرياض استحال نواح
أتبكي الحمائم أم تسجع
وتهتف : هيهات لا يرجع

هذه الرؤى وغيرها نراها في ديوانه هذا وتلك الظلال الخفاف التي تسابقت الى خيال الشاعر عبد الصاحب الملائكة ، فاهتزت لها ريشته التي عبرت عن فن اصيل ، فله بالغ التهنئة على براعته في التقاط الصور الفنية التي توحي بشعره الرفيع في ديوانه هذا الذي موضوعه « ارادة الحياة » .

بغداد **عبد الخالق عبد الرحمن**

جولة في الشعر العربي المعاصر

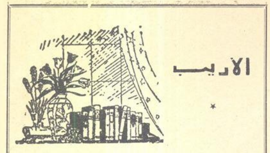
تاليف ابراهيم العريض ـ ٢٣٩ صفحة ـ منشورات دار العلم للملايين ببيروت ـ مطبعة كرم بيروت

اهدى لي صديقي الاستاذ ابراهيم العريض ، مؤلفه الجديد « جولة في الشعر العربي المعاصر » فكنت وانا اتلقاه ، فرحا كالذي يتلقى باقة فائنة من زهور الربيع ، ربيع العريض الادبي ، وهل في حياة العريض الادبية غير الربيع ... ؟ فيراع العريض الشاعر ، يراع فنان مرهف الحس صادق الشعور وهب نفسه خالصة لوجه الفن ، الفن كما عرفه وعرفه (هو) تعبير عن الحياة لا كما عرفه اكثرهم من المتحذلقين ، رصفا للقول ، وتمرسا بعبارات تقليدية محنطة ، ولقد احسنت مجلة « صوت البحرين » حينذاك صنعا عندما قدمت لقرائها حلقاته تباعا بصورة منتظمة ، وما هي ـ على الرغم من احتجابها ـ تحسن اليوم اذ تصدره مجموعة تحمل بين دفتيها ، كل الذي حملته لقرائها اشتاتا قبل عشر سنوات ، ولعل من الخير الحاقها بهذه السلسلة الذهبية جميع ما نشرته بصددها آنذاك ، من رسائل وتعليقات ، لها دلالتها في مجال القيم ...

قرأته مرات فلم تزدني قراءتي اياه الا اعجابا على اعجابي الاول ، حينما كنت اتابع قراءته فوق صفحات « صوت البحرين » لقد رأيته وهو يتحدى بمادته الحية كل هذا الفاصل الزمني الطويل ، حتى بدا لي وكأنه لم يكتب الا في امس القريب .

لا اكتم الشعور ، الذي استحوذ علي منذ ان تكون لي في الادب ذوق ، بجل ـ ان لم اقل بكل ـ ما انتجته عبقرية العريض الادبية ، في الميدانين النثري والشعري . كما لا اكتم ان هذا الشعور الفياض طفى علي وانا اقرأ هذا الكتاب وظل يطفي علي خلال رحلتي البعيدة فيه بين دواوين الشعراء ذوي الاصالة ، من مختلف العصور ، اما في مجال النثر واعني به هنا نقده الادبي ، فلا اتقول على الحق اذا ما قلت ، بانني لم اظفر خلال رفقتي الطويلة ، لكتب النقد الادبي بقلم واحد وفق في معالجة هذا الموضوع الشائق الشائك ، مثلما وفق قلم استاذنا العريض في معالجته من جميع جوانبه المختلفة فلقد استطاع ان يجلو لنا على ضوء النقد الفني للشعر العربي ، مواطن الفتنة والجمال فيه ، ولقد هدانا الى معرفة السر الذي استعصى فهمه على اكثرهم ، هذا السر الذي يجعل من كل اثر فني اثرا صادقا اصيلا ، ولا شيء غير كونه نابضا بروح الحياة ـ فهو وحده القادر على خلق الظروف ، وتهيئة الاسباب ، لتحس وانت ترتل آياته البينات ، بتفاعل وتجاوب بعيدين يجعلانك تحيا مع قائله ظروفه وتشاركه مشاعره واحاسيسه ، وتعيش معه كل آماله وآلامه ، وربما ذهبت مع هذا الفن العجيب مدى ابعد فاتخذت من روحه المشعة ، نافذة تطل منها على المستقبل ، فاذا بك ترهص بوقوع الاحداث ، فتبشر او تنذر بما سوف يتحقق على يدها ... فها هوذا يضطلع بمهمة لا ريب في انها شاقة ، اذ يختار في كتابه الجديد اربعا وعشرين قطعة شعرية لشعراء معاصرين ، لم يخنه التوفيق بالنسبة لاختيارها ولا مرة ، متخذا من كل قطعة منطلقا للحديث عن الشعر في شتى مراميه ، متناولا بالشرح دون قصد المفاضلة بين الشعراء ما في كل قطعة من مجالي الحسن ... ومواطن الجمال ... والشاعرية ...

كل ذلك بأسلوب مشرق ، وتحليل فني رائع ، على ان هناك ما هو ابعد من هذا بكثير فان وراء هذا الاسلوب المشرق وذلك التحليل الفني الرائع ، لمح وومضات تفتح اعيننا على مميزات الشعر العربي الاخرى . وهو بذلك يسلمنا في النهاية الى السنن القويمة التي يجب ان يدرس الشعر العربي ، في مختلف اطواره على هديها ، (وهكذا يأخذ بيد



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

⊙

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥٠ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار :

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

⊙

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت أم لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة

⊙

تليفون : الادارة ٢٢٣٨١٩ — المنزل ٢٢٥١٣٩
Tél. : Direc. : 223819 — Dle. : 225139

⊙

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
البير اديب

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي :
مجلة الاديب ـ صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت ـ لبنان

قارئه في رفق ليطوف به في شعاب يطل منها على مواطن الجمال في الشعر (على حد تعبير الاستاذ ميخائيل نعيمة (من رسالة نشرتها له « الاديب » بعدد مايو ١٩٦٢ تحت عنوان « من نعيمة الى العريض ») .

ثم ان هناك من الظواهر الكثيرة ، ما هيئته لنا هذه المجموعة بعد ان جاءتنا رافلة في حلتها القشيبة ، اولاها هذه الفكرة الكبرى ، التي اصطبغ بها الكتاب وهي الفكرة القائلة بان مصدر الجمال في كافة الفنون والشعر منها هو (الحياة) الحياة التي تمد هذا الاثر بمعينها الذي لا ينضب ، فتكهربنا بسحر جمالها ، حيثما وجدت ، وخذ هذا مثلا . ولكننا مع هذا لا نتقول على الحق اذا قلنا هنا بكل بساطة ان مصدر هذا الجمال هو الحياة نفسها . فالصياغة لا تستلزم معنى الحياة بينما التعبير لا يكون الا عنها . فهذا ما يجعل الشعر فنا له ما لسائر الفنون ، من فتنة ، وجمال مصدرهما الحياة . وهذا هو اصل الخلاف بيننا وبين هؤلاء فانا من الذين يقولون ان الادب هو الحياة ، وليس الشعر الا مرآة الحياة . وكما قلت مرة ، فليس الموضوع هو الذي يجعل الاثر الادبي جميلا وانما الحياة التي يحياها صاحب الاثر ، فنحياها معه ، فكلما صدق تعبيره عن الحياة صدقت صور الحياة نفسها ومن ثم كانت جميلة ، وثانيها تلك الوحدة الفنية ، وقد انتظمت حبات عقده الثمين ، بحيث لم تند واحدة عن اختها في مجال الحسن ، على الرغم مما هنالك من فاصل زمني يناهز الشهر ، كان يقوم وقتذاك بين الحلقة والاخرى . اما ثالثة الظواهر فهي ما ساد المؤلف من هيمنة روح (المتنبي) على مؤلفه — وهو من يعرف عظمة المتنبي — بحيث استطاعت هذه الروح ان تدفعه الى الاستشهاد بشعره تلقائيا في ما يقرب من عشرين موضعا ، دون نشاز او اقحام ، وانما على العكس من ذلك تماما ، اذا جاءت هذه الشواهد الشعرية ، مكملة للصورة الفنية في موضوع الحديث ، وتلك احدى خصائص التركيز ، الذي عودنا عليه المؤلف ، وفي هذا ما يدلنا بوضوح على ان (المتنبي) قد ترك لنا روحه الحية (حية) فهي تطالعنا ابدا كلما طالعنا شعره بها ، هذا الشعر الذي ضل في امره خلق كثير واضلوا كثيرا فضلوا عن سواء السبيل . ورابعها هذا التشهير الذي كاد ان يبلغ حد التنكيل بالشعراء المقلدين وقد تخلل مواضع كثيرة من الكتاب . وشتان في الادب بين الخلق والاختلاق فهذا ما نتعاه على الشعر التقليدي . وهكذا لم يتجاوز الشاعر هنا — لو تأملت في كل ما قال — سبعة ابيات ولكنه استوفى فيها كل ما يحلم المقلدون بقوله ... ويعجزون عن ادائه حتى في الاف الابيات ... فالمسالة هنا ليست مجرد كلمات يأتي بها الشاعر لملء الفراغ كما هو الشأن مع من نعرفهم من المقلدين في كل مكان . وهذا هو جمال الصدق ، الذي تعززه لنا وقائع الحياة ... في ظروفها الخاصة ... لا في كل ظرف ... كما يتصور المقلدون . والشواهد في هذا الكتاب على ذلك كثيرة .

اما بقية الظواهر الاخرى التي حفلت بها هذه المجموعة ، وما تستلزمه من حديث عنها يأتي ضمن اطار النقد ، او التحليل ، ارى مثله لتلك التي ، اشرت اليها هنا اشارة سريعة ، فذاك ما انا تاركه ، للنقاد والدارسين ، فان جل ما اطمح اليه هنا هو ان اقول كلمة عابرة ، عن هذه المجموعة القيمة ... فتحية طيبة لاستاذنا الكبير ، يوم اتحف قراءه بهذه الحلقات ، وتحية (لصوت البحرين) المحتجبة يوم قدمته مجموعة للقراء وتحية لدار العلم يوم تعهدت طبعه ونشره ، وفي الختام تحية للقارىء العزيز ، يوم يكون قد اهتدى طريقه الى الشعر الحي ، متخذا من مادة هذا الكتاب — الفنية بما يعين — مرقاة لتذوق الشعر العربي ، في فترة قلقة من حياة هذا الشعر .

البحرين — عبد الله الشيخ



● الادب الفرنسي الجديد : دراسة ، منتخبات ، وثائق — تاليف غايتان بيكون — ترجمة نبيه صقر والاب انطون الشمالي — مراجعة احمد عويدات — ٧٧ صفحة — حجم كبير — مجلد بالقماش — منشورات عويدات بيروت — مطبعة كرم بيروت .

● الفن والادب : بحث في الجماليات والانواع الادبية — تأليف ميشال عاصي استاذ الادب العربي في دار المعلمين والمعلمات بيروت — ٢٤٨ صفحة — منشورات دار الاندلس بيروت — مطابع دار الاندلس ببيروت.

● ثم ازهر الحزن — رواية — تاليف فاضل السباعي — ٤٠٤ صفحة — حجم كبير — منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● هجير وسراب — مجموعة شعرية — احمد محمد الخليفة — ١٠٤ صفحة — مزين بعدة لوحات فنية — حجم كبير — (لم يذكر اسم المطبعة).

● والحب الحياة : غراميات تاريخية — تاليف سمير شيخاني — ٢٢٢ صفحة — مزين بالصور — منشورات دار السمير (؟) — (لم يذكر اسم المطبعة)

● غابة الزيتون — مجموعة شعرية — فؤاد الخشن — ١٤٤ صفحة — مع عدة لوحات — منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت — (لم يذكر اسم المطبعة) .

● تدريس الحساب — تاليف ر. ل. مورتون — ترجمة الدكتور لبيب جورجي — مراجعة احمد زكي محمد — اشراف وتقديم محمد علي حافظ — ٧٢ صفحة — منشورات دار القلم بالقاهرة — مطابع دار القلم بالقاهرة .

● المبادىء الاساسية للفيزياء الذرية — تاليف.ريتشارد ف. همفريز وروبرت بيرنجر — ترجمة الدكتور محمود امين عمر والدكتور يوسف ليتو والدكتور سيد رمضان هدارة — مراجعة الدكتور محمود مختار — مصمم الغلاف امين لبيب رزق — ٥٩٢ صفحة — حجم كبير — منشورات دار المعارف بمصر — مطابع دار المعارف بمصر .

● القواعد الاساسية في انتاج وتصميم المسبوكات — تاليف كلارنس ت. ميرك — ترجمة الدكتور محمد زكي منير — مراجعة الدكتور عزت سلامة — مصمم الغلاف ابراهيم احمد الطهطاوي — ٤٩٦ صفحة — حجم كبير — منشورات مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة — مطبعة مصر (؟)

● قصص — مجموعة قصص — تاليف وليد اخلاصي — ١٢٠ صفحة — منشورات دار مجلة شعر بيروت — مطابع دار مجلة شعر ببيروت

● شهد وعلقم — مختارات شعرية ونثرية — من اثار ابراهيم الدباغ — عني بجمعها وقدم لها مصطفى درويش الدباغ — تعريف محمود تيمور — ١٩٢ صفحة — المطبعة العصرية بالقدس .

● بابل — مسرحية في فصلين — تاليف انطوان معلوف — ١٤٤ صفحة — حجم صغير — منشورات دار مجلة شعر ببيروت — مطابع دار مجلة شعر ببيروت .

جولة الأديب في شهر

في ذكرى الشاعر الفيلسوف محمد اقبال

بمناسبة ذكرى الشاعر الفيلسوف محمد اقبال اقامت الرابطة الوطنية الباكستانية في الجامعة الامريكية ببيروت حفلة تذكارية كبرى في قاعة الوست هول بالجامعة . وننشر في جولة الاديب كلمة رئيس وزراء لبنان رشيد كرامي وخطاب سفير باكستان في لبنان حامد نوازخان .

محمد اقبال ، الشاعر والفيلسوف وداعية التحرر ، هو أحد الافذاذ الشرقيين ، الذين نهلوا من روح هذا الشرق ، واستلهموا قيم حضاراته ومثلها السامية ، فاستطاعوا ان يجسدوا في اشخاصهم وافكارهم ونضالهم ، كل صور العظمة التاريخية التي عرفها هذا الشرق في الماضي ، وكل نوازع الطموح التي ما زالت تحرك هذا الشرق للوقوف من جديد من اجل استعادة ادوار العظمة ...

محمد اقبال ، كجمال الدين الافغاني وغيره ، من افذاذ هذا الشرق .. لم يوجه دعوته السياسية والفلسفية الى وطن معين ، بل وجه دعوته الى البشر عامة والى الشرق خاصة ، ولم ينطلق في دعوته من واقع اقليمي معين ، بل من الاسلام كفكرة سامية الهية ، ارتبط انطلاقها الاول بانطلاق حضاري واسع شمل الشرق كله ، ووحده روحيا وحضاريا... ومن هنا تخطت شهرة محمد اقبال حدود الباكستان ، وتجاوزتها الى سائر اقطار الشرق . ومن هنا ايضا اصبحت اشعاره وفلسفته مرجعا عالميا لدراسة تطور الفكر الاسلامي والشرقي في العصر الحديث .

ومحمد اقبال لم يكن شاعرا وفيلسوفا ، يعيش في برج عاجي بعيدا عن مشاكل شعبه ، بل كان الشاعر والفيلسوف الذي كرس جهده وفكره من اجل ايقاظ الجماهير في بلاده ، وقيادة نضالها من اجل التحرر والنهضة الفكرية والاجتماعية . فلقد اسهم في الحياة السياسية في القارة الهندية الباكستانية اسهاما كان له فضل كبير في تحريرها وبناء الباكستان المستقل ، ولعبت اشعاره دورا هاما في تحريك مشاعر الباكستانيين وتعزيز كفاحهم الاستقلالي ، وما زالت اشعار محمد اقبال حتى الان اناشيد الحرية التي تمد الشعب الباكستاني العظيم بالامل

وحسب محمد اقبال تدليلا على أهمية الدور السياسي الذي قام به في حياة القارة الهندية الباكستانية ، حسبه ان يقول فيه القائد الاعظم محمد علي جناح في خطاب القاه بذكرى اقبال سنة ١٩٤٠ « ان حييت حتى رأيت للمسلمين دولة قائمة في القارة الهندية الباكستانية، فخيرت بين السياسة العليا في هذه الدولة المسلمة وبين كتب اقبال لم اتردد في اختيار الثانية » .

فلقد ظل اقبال الى جانب مؤسس دولة الباكستان القائد الاعظم محمد علي جناح ، الصديق والمرشد والفيلسوف . وكان في احلك الساعات التي مرت بالرابطة الاسلامية راسخا كالصخرة لم يزلزل لحظة واحدة قط .

هذا هو محمد اقبال الذي يحتفل الشرق كله هذه الايام في احياء ذكراه ، اعترافا من الشرق بدور شاعره وفيلسوفه الكبير ، في حياتنا الفكرية والسياسية ، وكذلك بغية العودة دائما الى هذه الافكار النبيلة والسامية التي غرسها محمد اقبال ودعا اليها من اجل تحرير هذا الشرق وتضامن اقطاره وتدعيم المثل الروحية المتسامحة في ربوعه .

رشيد كرامي

خطاب سفير الباكستان في لبنان

انه لشرف عظيم لي ان اتحدث هذا المساء عن اقبال . واشعر ان الفخر كل الفخر هو في ان يجري الاحتفال بذكرى اقبال لاول مرة في لبنان . وبطبيعة الحال فان زيارة دولة رئيس الوزراء الاستاذ رشيد كرامي الى باكستان تلك الزيارة التي تكللت بالنجاح قد اثارت اهتماما كبيرا لدى هذه البلاد بشؤون الباكستان . وانه لمن الملائم بعد اختتام زيارة دولته ان نتحدث عن اقبال الذي نحن مدينون له بفكرة الدولة التي لي الشرف بأن امثلها هنا .

لقد ظهر اقبال في وقت كانت امته واقعة تحت نير الاحتلال الاجنبي، وكانت اوروبا على العكس في ذروة مجدها . فلماذا هذا التباين ؟ وكيف حدث ذلك ؟ هذا ما سعى اقبال لاكتشافه . فعند اقبال انه اذا كان الشرق قد بقي متاخرا ضعيفا فذلك لان فكرة القدرية قد تغلغلت عميقا في الشعب ، فشلت الحيوية والارادة . وهكذا لم يستطع اقبال ان يصبر على معاناة هذه الفلسفة الصوفية من المعميات ، فحمل بلا هوادة على هذا التأثر السلبي المثل الذي منع الانسان من تحسين اوضاعه وتبديلها ، وآمن بأن العمل هو الينبوع الرئيسي للحياة . وان على الفرد بغية العمل ان يثقف ذاته ، لان على بناء الذات يتوقف سر الحكمة الالهية .

واصبح اقبال مقتنعا بأن مفتاح مشكلة الخير والشر يمكن ايجاده في فكرة الشخصية التي اعطت البشرية قيمة واعتبارا . ولذلك فان تقوية الشخصية هو خير ، واضعافها هو شر . ويجب ان نحكم على الفن والدين وعلم الاخلاق من وجهة نظر « الشخصية » . وقد اهاب اقبال بالانسان لكي يبلغ نضوجه الكامل . وفي ذلك يقول :

هل انت ذرة من تراب ؟
الا فاشددن على عقدة ذاتك
احرص على وجودك ولو كان مثقال ذرة
فما اجل ولا امجد من صقل النفوس
ومن اختبار بهائها في نور الشمس الساطعة
الا مزقن قيود الماضي
وابن وجودا جديدا
فان وجودا كهذا هو وجودك الحقيقي
الذي لولاه لكانت ذاتك كحلقة من دخان
عندها تكون المعجزة
لقد نما وجودي وكبر ، فبلغت السماء
وهوت الثريا من عليائها واستقرت في ثيابي

لقد نادى اقبال بأن على المرء ان يسعى ويعمل على التغلب على محيطه وبيئته ، وبذلك يستطيع ان يكشف عما في قرارة نفسه وذاته من اسرار.

ان عالم الروح – هذا العالم الذي لا تحده الحدود – لا يقهر الا بالكفاح المتواصل والصراع المستمر .

فمثل الذي يريد ان يصير الى تراب كمثل الفراشة التي تحوم حول النور لتصير الى رماد .

كن للدنيا قاهرا وللارض فاتحا ، فتلك هي شيمة الرجال .

هكذا جعل اقبال الانسان محورا لفلسفته ، ورأى فيه من المزايا ما يمكنه من تغيير وجه العالم ، فالانسان في نظره اجل مزايا واسمى سجايا مما هو معهود اذ يستطيع ان يكون كالملاك الذي في مقدوره ان يتمم ما خلق الله .

يقول اقبال مخاطبا الله :
خلقت انت الليل وصنعت انا المصباح
خلقت انت الصلصال وصنعت انا الاقداح

خلقت انت الصحاري والسهول والبطاح
وصنعت انا الحدائق والبساتين الملاح
انا الذي جعلت من الصخور مرايا
انا الذي جعلت من السموم ترياقا

لقد رأى اقبال بنفسه خلال الحرب العالمية الاولى كيف ان النزعات المادية قد مزقت اوروبا تمزيقا ولذا نجده لم يانس بهذه النزعات التي اعتقد انها تسبب الفرقة اكثر مما تجلب الوحدة ، فخاطب بني قومه في قصيدة عنوانها « المعبد الجديد » :

في معابدكم اصنام عفى عليها الزمان
علمتكم اصنامكم ان تكونوا وشعبكم في خصام

لقد آمن اقبال باخوة البشر ، اخوة قائمة على الايمان ، دون ثمة تمييز من حيث الطبقات او العقائد او الالوان او الاجناس ، فلا كراهية ولا استغلال . ولشد ما كان يعاني حين يرى انقسام البشرية الى معسكرات متناحرة . فكان يعمل طوال سني حياته من اجل احلال التفاهم والوئام بين الشعوب . فكان يقول :

ان المذاهب تقسم البشرية الى معسكرات متناحرة
فعلينا ان نتخاطب بلغة الحب وان نلقن دروس الاخوة !
ان الفقير المتفاني في حب الله لا ينتمي الى شرق او الى غرب
انني لا انتمي لا الى دلهي ولا الى اصفهان
انني لا اقول الا ما هو الحق

ورأى اقبال ان التمييز بين البشر على اساس اللون او الجنس انما هو شر بلاء ابتلت به البشرية ، فدعا الى مناهضة هذه النزعة ومحاربتها اينما بدرت وكان يقول : محال ان تنسجم الحياة على الارض طالما بقيت نزعة التمييز بين البشر . وقال في شعر له :

لسنا بأبناء افغان او ترك او تتار
انما نحن من دوحة واحدة ، من غصن واحد
دع عنك الاحساب والانساب
كلنا من نبع فريد صاف

هكذا كان اقبال مواطنا عالميا ، بمعنى الكلمة ، ونهج نهجا لا يقر التمييز بين المذاهب او الالوان او الاوطان . كان واسع العواطف واسع الفؤاد ، كان قلبه يرجع صدى مشاعر الناس والامهم اينما كانوا وحيثما حلوا ، لقد تامل في افاق الكون فنظم قصيدته « رسالة الشرق » جوابا على قصيدة جوته التي عنوانها « ديوان الغرب » وطلع فيها بهذه الافكار :

اسكتوا ضوضاء الامم
اطربوا الاذان بعذب النغم
حركوا اوتار قيثاركم بلحن الاخوة
ردوا الينا كؤوس شراب المحبة

كان اقبال شاعرا وفيلسوفا بحق ، ذلك انه قد تعمق في درس اسرار الحياة ، فابان حقائقها باسلوب شعري بليغ فريد تخطى فيه الاساليب الشعرية المالوفة . كان ينظم الشعر بذهن ثاقب ورأي سديد وفطنة نادرة ، فجمع بين البلاغة والحكمة . ولم يكن نداؤه ليتردد في جوانب وطنه وحسب وانما تعدى الى جميع البلاد والاوطان ، ولم يكن ليؤمن بان الفن ينبغي ان يكون من اجل الفن وانما ينبغي ان يكون اداة فعالة لرفع مكانة البشر والنهوض بهم الى أعلى المراتب ، ذلك هو الفرض الذي يجدر بالفن تحقيقه .

ولقد تنبأ اقبال ببعث العرب ونهوضهم واسترجاع امجادهم التليدة، وذلك في شعر كثير منه :

ايها الاسد الهزبر ، يا من خرجت من الصحراء وقوضت صرح امبراطورية الرومان
تنبئني الملائكة انك ستعود الى الحركة والنشاط

ومن قوله ايضا :

أمة الصحراء يا شعب الخلود
من سواكم حل اغلال الورى
أي داع فيكم في ذا الوجود
صاح لا كسرى هنا لا قيصرا

كان اقبال مسلما ، مؤمنا ، لا بالمعنى الضيق وانما بالمعنى القرآني الحق الذي يشمل على معاني الامان ، ودوام الصلاح والكمال والنزاهة من كل عيب ، لقد تساءل في قصيدته « جاويدنامه » وهي من غرر قصائده ، وتعادل في بلاغتها وجودتها قصيدة الشاعر الايطالي دانتي اليجري ، « الكوميديا الالهية » تساءل : ما هو القرآن ، ثم اجاب . « انه رسالة موت لاصحاب رؤوس المال ، وعون للفقراء والمعوزين » انه عالم قائم على السلم والمساواة والاخوة والثقة والحب والحق . ولمثل هذا العالم كن عونا ونصيرا ورسولا ، عالم خلق لكي يتمكن فيه الفرد من ادراك اقصى ما تصبو اليه نفسه من اماني ، اقصى ما تؤهله طاقته الشخصية لادراك الغايات ، وليس لهذا ثمة حد او نهاية .

وختاما ، استميحكم العذر فاقول اننا وان قلنا ان اقبالا منا ، من ابناء باكستان ، فاننا لا نستأثر به دون غيرنا ، فالحق ان اقبالا ينتمي الى العالم كافة ، وان العالم كافة غدا يعرفه ويلم بشعره وفلسفته ، فلقد ترجم شعره الى العربية والانجليزية والفرنسية والايطالية والروسية والاسبانية والتركية ، وها نحن اليوم نحتفل بذكراه في لبنان ، واننا نتطلع الى اليوم الذي يزداد فيه كلف الناس بشعره وادبه وفلسفته ، لا سيما في هذا البلد الذي يتمتع بتراث روحي عظيم وثقافة واسعة . وشكرا جزيلا لكم .

حامد نوازخان

●

١ ـ هكذا يدرسون الادب في الجامعات

هذه فضيحة ادبية كشفها لنا البرنامج التليفزيوني (٢٠ سؤال) ... ان الحلقة التي اذيعت منذ ٣ ايام كان موضوعها « الشعر العربي » ، وكانت الاسئلة موجهة الى الطلبة الذين يدرسون الادب العربي في جامعة عين شمس ، ومع ذلك برهنوا على ان مستواهم اقل من مستوى تلاميذ المرحلة الثانوية .

المدهش ان الاسئلة كانت في غاية السهولة ، وهذا البرنامج بالذات ينبه على رواده ان يقرأوا كتابا معينا استعدادا للمناقشة ، وفي كل حلقة يحدد المذيع نذير عقيل اسم الكتاب المطلوب قراءته ، وحتى لو لم يحدث هذا فهل من المعقول ان يعجز الطالب الذي يدرس الادب في الجامعة عن الاجابة على سؤال مثل : ما هو التجديد الذي احدثه ابو نواس في الشعر ؟ طبعا غير معقول ... ولكننا رأينا على شاشة التليفزيون ان جميع الطلبة عجزوا عن الاجابة على هذا السؤال .

كان مخجلا جدا ان تقول لهم المذيعة ليلى رستم علانية : هل انتم طلبة بكلية الاداب ، أم طلبة بكلية الهندسة ؟ !

والمسالة ليست مسالة معرفة او جهل بشعر ابي نواس او بالشعر العربي كله ، ولكن المؤسف ان هؤلاء الطلبة تهربوا من الاجابة على أي سؤال من شدة احساسهم بالعجز ، وتحولت الندوة الى مطارحات شعرية بين اعضاء لجنة التحكيم ، لملء الفراغ الذي حدث في البرنامج .

هذه الظاهرة تعطينا نموذجا للمستوى الادبي في الجامعات ، وطبعا هذه التفاهة منتشرة بين طلبة الاقسام الاخرى ، وطبعا كثيرون منهم سينجحون « بالصم » ، وبعضهم سيقدم رسالات ماجستير ودكتوراه ، وبعضهم سينتشر في الوسط الادبي والفني لنشر الجهل بدلا من نشر الوعي ، والنتيجة هي هذه « الهلضمة » التي تلمسها في المرافق الفنية

وفي الذين يحتشدون في الحقل الادبي والفني بلا دراية ، فكيف ننتظر من هؤلاء ان يساهموا في رفع مستوى الفنون او في التوعية الادبية والفنية ؟ !

ان الجامعات – وايضا المعاهد الفنية العليا – في حاجة شديدة الى بحث وسائل رفع مستوى الثقافة ، بحيث تؤدي دورها بوعي في مجتمعنا الجديد الواعي ... وغير معقول ونحن في مرحلة التوعية ان يظل الطلبة الذين يدرسون الادب دراسة اكاديمية – مثلا – بهذا الجهل الازلي ! !

٢ – أين الموسيقى العربية ؟ !

في الموسيقى ايضا نفس المشكلة ... كيف تؤدي موسيقانا رسالتها في المجتمع الجديد ، في الوطن العربي الكبير ؟ !

اولا أين هي الموسيقى العربية ؟ ان هذا السؤال يحدد جزءا مهما في المشكلة ، وهو الجزء الذي كان يناقشه كل المهتمين بالموسيقى لولا ان مناقشاتهم كانت تتفرع غالبا حول ابحاث تاريخية او تصنيفية ... فمثلا كانوا يبحثون في منابع موسيقانا ، وهل هي عربية أم فارسية أم تركية أم خليط منها .. الخ

اما الان فان البحث يدور حول وسائل خلق الموسيقى العربية في مستوى عالمي والغريب ان كبار المشتغلين بموسيقانا متفقون على ذلك ، فاين المشكلة اذن ؟ !

اسأل الموسيقيين المشرفين على الاجهزة الموسيقية مثل محمد حسن الشجاعي وعبد الحميد عبد الرحمن ، او المشرفين على الكونسرفاتوار والاوركسترا السيمفوني مثل الدكتور ابو بكر خيرت وصالح عبدون ، او الباحثين مثل الدكتور حسين فوزي ، كل هؤلاء ومن في مستواهم يؤكدون ضرورة دراسة الموسيقى العالمية وقوالبها وتطوراتها ، وفهم الدراما الموسيقية ونظرياتها ، والاستفادة بذلك كله في تعميق مفهوماتنا الموسيقية ، مع الاحتفاظ بطابعنا وخصائصنا وشخصيتنا .

ومحمد عبد الوهاب وان كان لم يتجه الى الموسيقى السيمفونية الا انه كذلك يؤكد ان الدراسة هي الطريق الوحيد لانقاذ موسيقانا من مرحلة الارتجال ، بل انه حتى في الاغاني يؤكد ضرورة الدراسة ، بما في ذلك دراسة الموشحات والضروريات ليمكن تجديد اغانينا .

اذن ماذا منع تعميق مفهوماتنا الموسيقية اذا كان كل اساتذة الموسيقى على اختلاف اتجاهاتهم متفقين على حاجتنا الى الدراسة هل السبب هو ان هؤلاء ظواهر فردية ؟ !

السبب الجوهري هو ان الوسط الموسيقي بصفة عامة لم يدرك بعد ان الموسيقى « علم » ... فالعازف الذي يجهل قراءة « النوتة » يعتقد انه موسيقي ... والملحن الذي يجهل قواعد التاليف يعتقد انه موسيقي ... وكثيرون يتحدثون عن الموسيقى العالمية بجهل واضح ... فمثلا بعض الجهلاء ادهشهم ان يقترن اسم « لاترافياتا » ببوتشيني .. وصحيح ان فردي الف لاترافياتا ، ولكن بوتشيني الف ايضا في مطلع شبابه لاترافياتا . محاكاة لعمل فردي ، ولكنهم لجهلهم يهربون من الكلام الموضوعي بالفلوشة . ويتحدثون عن الموسيقى دون ان يقرأوا عنها كتابا واحدا .

وهكذا نجد ان سبب نكبة الموسيقى هو سبب نكبة مختلف الفنون ، وهو الجهل ، سواء في الدراسة او في الممارسة ... واذن فلكي نخلق الموسيقى العربية يجب ان نكافح هذه الجاهلية اولا ! !

القاهرة (الاخبار) عبد الفتاح البارودي

•

المعركة القديمة بين الفصحى والعامية

اريد ان ازيد مسألة الفصحى والعامية بيانا ... المعركة بينهما قديمة ، ولكنها انتهت في السنوات الاخيرة الى ما يشبه الاقرار للعامية في المسرح والسينما ، فقلما تجد مسرحية او فيلما الا ولغته عامية ، حتى المسرح المدرسي والمسرح الجامعي ، وكلاهما قصد به بين ما قصد التعويد على الفصحى وحسن التعبير بها ، اصابتهما العدوى ، فاصبحت اللغة الغالبة عليهما هي العامية .

والحجة الكبرى لانصار الفصحى ان اللغة رابطة لا يمكن انكار أهميتها للتقريب بين الشعوب العربية ، ثم ان الادب الخالد هو ادب اللغة الفصحى وما عداه لا يمكن ان يكتب له البقاء حتى لو كان مستحقا له ، لان العامية ليست لغة صالحة للبقاء ، ولان لهجاتها تتغير من جيل الى جيل ومن قطر الى قطر .

والمسألة الان يجب ان ننظر اليها من زاوية اخرى ، فانتشار التعليم يقرب ما بين الفصحى والعامية . وجهد قليل من اصحاب الفنون ، والاداب للاقتراب بلغة التعبير من الفصحى ، مع جهد قليل من الجمهور للتعود عليها كفيل بأن ينشىء لدينا لغة وسطا تصلح للمسرح والسينما، وتكسب من العامية مرونتها ومن الفصحى جمالها ودقتها ، ويمكن ان تفهم في كافة الاقطار العربية ، وبذلك تظل صلة اللغة بينها تيارا لا ينقطع بل يزداد مع الايام قوة وتاثيرا .

بقيت لغة الكتابة ، وهي نوعان الكتابة الصحفية والكتابة الادبية . وهنا ارجو ألا تطغى احداهما على الاخرى فتضيع المعالم بينهما . ومن سوء الحظ ان الصحافة اثرت على لغة الادب تاثيرا شديدا ، وهو ما يجب ان ننتبه اليه ، فلا بد ان يظل التعبير الادبي في جماله ودقته وروعته والا تلحقه العجلة التي هي طابع الكتابة الصحفية .

ومهما يكن الرأي القائل بأن تاثر الادب بلغة الصحافة ادى الى سهولته وانتشاره ، فان هناك حقيقة لا ينبغي ان تبرح اذهاننا ، وهي ان لغة الادب اعمق تاثيرا واكثر امتزاجا بالنفس ، ومن ثم اشد لصوقا بالعقل والقلب ، كما ان هناك حقيقة لا ينبغي ان تبرح اذهاننا ايضا هي ان الادب العربي لا بد ان يخرج من النطاق المحلي الى النطاق العالمي ، ومن المؤكد ان لغته المتاثرة بالعجلة الصحفية لا تكفل له بلوغ هذه الغاية على الصورة التي نريدها .

القاهرة (اخبار اليوم) محمد زكي عبد القادر